



دانشگاه علوم و معارف قرآن کریم

مختصر البلاغة

إعداد

هادی نصیری

دانشگاه علوم و معارف قرآن کریم



مختصر البلاغة

إعداد

هادي نصيري

الفهرس

الصفحة	العنوان
١	مقدمه
٢	الدرس الأول
٢	تمهيد
٣	مقدمة
٣	في معرفة الفصاحة و البلاغة
٣	الفصاحة
٣	فصاحة الكلمة
٥	الدرس الثاني
٥	فصاحة الكلام
٧	فصاحة المتكلم
٨	الدرس الثالث
٨	البلاغة
٨	بلاغة المتكلم
٩	ملاحظات
١١	علم المعانى
١٣	الدرس الرابع
١٣	تعريف علم المعانى و موضوعه و واضعه
١٤	أركان الكلام
١٤	مواضع المسند
١٥	مواضع المسند إليه
١٦	الدرس الخامس
١٦	الباب الأوّل
١٦	في تقسيم الكلام إلى خبر و إنشاء
١٦	تقسيم الخبر إلى جملة اسمية و جملة فعلية
١٧	الغرض من إلقاء الخبر

١٩	الدرس السادس
١٩	أضرب الخبر
١٩	فائدة
١٩	خروج الخبر عن مقتضى الظاهر
٢١	الدرس السابع
٢١	الباب الثاني
٢١	في الإنشاء
٢١	الإنشاء الطلبى
٢١	١. الأمر
٢٢	٢. النهى
٢٤	الدرس الثامن
٢٤	٣. الإستفهام
٢٧	الدرس التاسع
٢٧	٤. التمنى
٢٨	٥. النداء
٣٠	الدرس العاشر
٣٠	الباب الثالث
٣٠	في أحوال المُسند إليه
٣٠	المبحث الأول في ذكر المُسند إليه
٣١	المبحث الثانى
٣١	في حذف المُسند إليه
٣٣	الدرس الحادي عشر
٣٣	المبحث الثالث
٣٣	في تعريف المُسند إليه
٣٣	في تعريف المُسند إليه بالإشارة
٣٤	في تعريف المُسند إليه بالموصلية
٣٥	في تعريف المُسند إليه بالإضافة
٣٧	الدرس الثاني عشر

٣٧	المبحث الرابع.....
٣٧	في تنكير المسند إليه.....
٣٨	المبحث الخامس.....
٣٨	في تقديم المسند إليه.....
٣٩	المبحث السادس.....
٣٩	في تأخير المسند إليه.....
٤٠	الدرس الثالث عشر.....
٤٠	الباب الرابع.....
٤٠	في المسند و أحواله.....
٤٠	المبحث الأول.....
٤٠	في ذكر المسند أو حذفه.....
٤١	المبحث الثاني.....
٤١	في تعريف المسند أو تنكيره.....
٤٢	الدرس الرابع عشر.....
٤٢	المبحث الثالث.....
٤٢	في تقديم المسند أو تأخيره.....
٤٤	الدرس الخامس عشر.....
٤٤	الباب الخامس.....
٤٤	في أحوال متعلقات الفعل.....
٤٨	الدرس السادس عشر.....
٤٨	الباب السادس.....
٤٨	في القصر.....
٤٨	المبحث الأول.....
٤٨	في طرق القصر.....
٤٩	المبحث الثاني.....
٤٩	في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة و الواقع إلى قسمين.....
٤٩	نتائج القصر.....
٥٠	المبحث الثالث.....
٥٠	في تقسيم القصر باعتبار طرفيه.....

٥٠	المبحث الرابع.....
٥٠	في تقسيم القصر الإضافى
٥٢	الدرس السابع عشر.....
٥٢	الباب السابع.....
٥٢	فى الوصل و الفصل.....
٥٢	بلاغة الوصل.....
٥٣	المبحث الأول.....
٥٣	فى مواضع الوصل.....
٥٣	الدرس الثامن عشر.....
٥٤	المبحث الثانى.....
٥٤	فى مواضع الفصل.....
٥٧	الدرس التاسع عشر.....
٥٧	الباب الثامن.....
٥٧	فى الإيجاز و الإطناب و المساواة.....
٥٧	المبحث الأول.....
٥٧	فى الإيجاز و أقسامه.....
٥٩	الدرس العشرون.....
٦٠	المبحث الثانى.....
٦٠	فى الإطناب و أقسامه.....
٦٢	المبحث الثالث.....
٦٢	فى المساواة.....
٦٤	علم البيان
٦٦	الدرس الواحد و العشرون.....
٦٧	الباب الأوّل فى التشبيه.....
٦٧	تعريف التشبيه و بيان أركانه الأربعة.....
٦٧	المبحث الأوّل.....
٦٧	فى تقسيم طرفى التشبيه إلى حسّى و عقلى.....
٦٧	المبحث الثانى.....

٦٧	فى تقسيم طرفى التشبيه باعتبار الأفراد و التركيب
٦٨	المبحث الثالث
٦٨	فى تقسيم طرفى التشبيه باعتبار تعددهما إلى أربعة أقسام
٦٩	الدرس الثانى و العشرون
٦٩	المبحث الرابع
٦٩	فى تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه
٧٠	المبحث الخامس
٧٠	فى أدوات التشبيه
٧١	المبحث السادس فى تقسيم التشبيه
٧١	باعتبار أدواته
٧١	الدرس الثالث و العشرون
٧٢	المبحث السابع
٧٢	فى فوائد التشبيه
٧٣	التشبيه الضمنى
٧٣	التشبيه المقلوب
٧٤	تنبيهات
٧٨	الدرس الرابع و العشرون
٧٨	الباب الثانى
٧٨	فى المجاز
٧٨	المبحث الأول
٧٨	فى تعريف المجاز و أنواعه
٧٨	المبحث الثانى
٧٨	فى المجاز اللغوى المفرد المرسل و علاقاته
٨٢	الدرس الخامس و العشرون
٨٢	المبحث الثالث
٨٢	فى تعريف المجاز العقلى و علاقاته
٨٢	أشهر علاقات المجاز العقلى
٨٣	المبحث الرابع
٨٣	فى تعريف الإستعارة و بيان أنواعها

٨٤	الدرس السادس والعشرون.....
٨٤	المبحث الخامس
٨٤	في تقسيم الإستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين.....
٨٤	المبحث السادس
٨٤	في الإستعارة باعتبار الطرفين
٨٤	المبحث السابع.....
٨٤	في الإستعارة باعتبار اللفظ المستعار.....
٨٥	المبحث الثامن
٨٥	في تقسيم الإستعارة المصرحة باعتبار الطرفين إلى عنادية و وفاقية.....
٨٦	المبحث التاسع.....
٨٦	في تقسيم الإستعارة باعتبار الجامع.....
٨٧	الدرس السابع والعشرون.....
٨٧	المبحث العاشر.....
٨٧	في تقسيم الإستعارة باعتبار ما يتصل بها من الملائمات و عدم اتّصالها.....
٨٨	المبحث الحادى عشر.....
٨٨	في المجاز المرسل المركّب.....
٨٨	المبحث الثانى عشر.....
٨٨	في المجاز المركب بالإستعارة التمثيلية.....
٩٠	الدرس الثامن والعشرون.....
٩٠	الباب الثالث.....
٩٠	في الكناية و تعريفها و أنواعها.....
٩٠	أقسام الكناية.....
٩٠	باعتبار المعنى الذى تشير إليه.....
٩١	تقسيم الكناية
٩١	باعتبار الوسائط و السياق.....
٩٤	علم البديع
٩٦	الدرس التاسع والعشرون.....
٩٧	الباب الأوّل.....
٩٧	في المحسنات المعنوية.....

٩٧	التورية.....
٩٧	الإستخدام
٩٧	الطباق.....
٩٨	المقابلة.....
٩٨	مراعاة النظرير.....
٩٩	الدرس الثلاثون
٩٩	المشاكله.....
٩٩	الطىّ و النشر.....
٩٩	الجمع
١٠٠	التفريق.....
١٠٠	المبالغة
١٠١	العكس.....
١٠٣	الدرس الواحد و الثلاثون.....
١٠٣	الباب الثانى.....
١٠٣	فى المحسنات اللفظية.....
١٠٣	الجناس.....
١٠٣	أنواع الجناس اللفظى.....
١٠٣	أنواع الجناس المعنوى.....
١٠٤	التصحييف.....
١٠٤	السجع.....
١٠٥	الدرس الثانى و الثلاثون.....
١٠٥	ردّ العجز على الصدر.....
١٠٥	ما لا يستحيل بالإنعكاس.....
١٠٥	المواربه.....
١٠٨	خاتمة.....
١٠٩	فهرس المصادر و المراجع.....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمه

اثر پیش رو خلاصه‌ای از کتاب جواهر البلاغه تالیف سید احمد هاشمی از ادیبان معاصر مصری است که به منظور ۴ واحد درسی دانشگاهی در قالب ۳۲ درس تنظیم گردیده است. این کتاب به دلیل ویژگی‌های خوبی که دارد سال‌ها متن درسی دانش بلاغت در حوزه و دانشگاه قرار گرفته است ولی به دلیل مفصل بودن آن، دست کم نیازمند ۸ تا ۱۰ واحد درسی است که بطور طبیعی در رشته‌های علوم قرآن و حدیث بیش از ۴ واحد به این درس اختصاص داده نشده است. از این رو تلخیص کتاب به گونه‌ای انجام شد که مسائل محوری و اساسی علم معانی، بیان و بدیع در قالب ۴ واحد درسی و ۳۲ درس همراه با تمرین مربوط به هر مبحثی مطرح شود. تلاش شده که از آیات و روایات و اشعار حکمت آمیز بیشتری جهت تثبیت مطالب در ذهن دانشجویان عزیز در بخش تمرین استفاده شود. وقت نسبتاً زیادی صرف آماده کردن این اثر شد، امیدوارم که این تلاش ناچیز مورد قبول همکاران محترم و دانشجویان گرامی قرار بگیرد. از همکاران گرامی خواهشمندم، چنانچه ایراد و اشکالی مشاهده کردند، تذکر دهند که با دیده منت پذیرای آن خواهم بود و درصدد اصلاح آن برخواهم آمد.

هادی نصیری

عضو هیأت علمی دانشگاه علوم

و معارف قرآن کریم

پاییز ۹۲

الدرس الأول

تمهيد

لما وُضع «علم الصرف» للنظر في أبنية الألفاظ، و وضع علم النحو للنظر في إعراب ما تركب منها، وضع «البيان» للنظر في أمر هذا التركيب و هو ثلاثة علوم:

العلم الأول: ما يحتز به عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريد المتكلم لإيصاله إلى ذهن السامع و يسمى «علم المعاني».

العلم الثاني: ما يحتز به عن التعقيد المعنوي؛ أي عن أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المعنى المراد و يسمى «علم البيان».

العلم الثالث: ما يراد به تحسين الكلام و يسمى «علم البديع». فعلم البديع تابع لهما إذ بهما يعرف التحسين الذاتى، و به يعرف التحسين العرضي.

و الكلام باعتبار «المعاني و البيان» يقال إنه:

«فصيح» من حيث اللفظ؛ لأن النظر في الفصاحة إلى مجرد اللفظ دون المعنى.

«و بليغ» من حيث اللفظ و المعنى جميعاً؛ لأن البلاغة ينظر فيها إلى الجانبين.

و أما باعتبار البديع فلا يقال إنه فصيح و لا بليغ؛ لأن البديع أمرٌ خارجي يُراد به تحسين الكلام لا غير.

إذا تقرر ذلك، و جب على طالب البيان أن يعرف قبل الشروع فيه معرفة معنى «الفصاحة و البلاغة»؛ لأنها

محوره و إليهما مرجع أبحاثه. فهما الغاية التي يقف عندها المتكلم و الكاتب و الضالّة التي ينشدها.

مقدمة

في معرفة الفصاحة و البلاغة

الفصاحة

الفصاحة: تطلق في اللّغة على معانٍ كثيرة : منها البيانُ و الظهورُ، قال الله تعالى: «و أخي هارون هو أفصح منّي لساناً» [قصص : ٣٤] أي: أبين منّي منطقاً و أظهر منّي قولاً.

و يقال : أفصح الصبّي في منطقهِ؛ إذا بان و ظهر كلامه. و قالت العرب: أفصح الصّبح؛ إذا أضاء.

و الفصاحة، في اصطلاح أهل المعاني عبارة عن الألفاظ البيّنة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم و المأنوسة الإستعمال بين الكتّاب و الشعراء لمكان حسنها.

فصاحة الكلمة

فصاحة الكلمة تحصل بخلوصها من أربعة أشياء: ١. تنافر الحروف ٢. غرابة الإستعمال ٣. مخالفة القياس الصرفي ٤. الكراهة في السّمع

الأوّل: خلوصها من تنافر الحروف؛ لتكون رقيقة عذبة تحفّ على اللّسان و لا تثقل على السّمع، فلفظ «أسد» أخفّ من لفظ «فدوكس»، و نحو «هعخع لبنيت» ترعاه الإبّل من قول أعرابي: تركتُ ناقتي ترعى الهعخع.

الثاني: خلوصها من الغرابة و تكون مألوفة الإستعمال. نحو تكأكتّم بمعنى «اجتمعتم» من قول عيسى بن عمرو النحوي و قد سقط عن حمارة و اجتمع عليه الناس: ما لكم تكأكتّم عليّ، كتكأكتّم عليّ ذي جنّة إفرنقعوا عني.

الثالث: خلوصها من مخالفة القياس الصرفي، حتى لا تكون شاذّة، نحو «الأجلل» في قول أبي النّجم:

الواحد الفرد القديم الأوّل

الحمد لله العليّ الأجلل

فإنّ القياس «الأجلل» بالإدغام، و لا مسوّغ لفكّه.

الرّابع: خلوصها من الكراهة في السّمع. فهو كون الكلمة و حشية للطباع و الأسماع. كالجرشّي للنّفس في قول أبي الطيّب المتنبّي يمدح سيف الدولة:

كريمُ الجرشّي شريفُ النسب

مُباركُ الإسم أغرُّ اللّقب

و ملخّص القول: أن فصاحة الكلمة تكون بسلامتها من تنافر الحروف و من الغرابة و من مخالفة القياس و من الكراهة في السّمع (الإبتدال و الصّعف). فإذا لصق بالكلمة عيب من هذه العيوب السابقة و جب نبذها و أطرحها.

تمارين

ما الذي أخلّ بفصاحة الكلمات فيما يأتي:

- أسمع جعجعة و لا أرى طحناً - أكلت العرين و شربت الصّباح - الإسقنط حرامّ

إنّ بعضاً من القريض هراء ليس شيئاً و بعضه أحكام

إن بنيّ للئام زهّدة مالي في صدورهم من مودّدة

يا نفس صبراً كل حيّ لاقى و كل اثنين إلى افتراق

- الفدوكس مفترس - علمي إلى علمك كالقرارة في المثعنجر - البعاق ملاً الجردحل.

- دع الخمر و اشرب من نقاخ مبرّد - إخال أنّك مصوون - كتب أحدهم لصديقه يقول: يا أحبّ صواحيبي و

أعززهم عليّ يؤلمني أن أصبح مقصويا عنك هذا الإقصاي، و أنت منيّ بمنزلة الرّوح من الجسد. - لأنّ أسود في

عيني من الظلم.

الدرس الثاني

فصاحة الكلام

فصاحة الكلام: سلامته بعد فصاحة مفرداته مما يُبهم معناه و يحول دون المراد منه و تتحقّق فصاحته بخلوّه من ستّة عيوب:

١. تنافر الكلمات مجتمعة ٢. ضعف التّأليف ٣. التعقيد اللفظي ٤. التعقيد المعنوي ٥. كثرة التكرار ٦. تتابع الإضافات

الأول: تنافر الكلمات مجتمعة: أن تكون الكلمات ثقيلة على السّمع، يلزم من تركيبها مع بعضها عسرة النطق بها مجتمعة على اللّسان، وإن كان كل جزء منها على انفراده فصيحاً، نحو قول الشاعر:

و قَبْرٌ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٌ و لَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ
و نحو:

كريمٌ متى أمدّحه أمدّحه و الوردى معي و إذا لُتّه لُتّه و حدي

الثاني: ضعف التّأليف: أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشتهر من قوانين النّحو المعتمدة عند جمهور العلماء، كوصل الضميرين و تقديم غير الأعراف منهما على الأعراف، كقول المتنبي:

خَلَّتِ الْبِلَادُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا فَأَعَاضُهَا كَاللَّهِ كَيْ لَا تَحْزَنَا

و كالأضمار قبل ذكر مرجعه لفظاً و رتبةً و حكماً في غير أبوابه، نحو:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر و حُسن فعل كما يُجزى سنّار

الثالث: التعقيد اللفظي؛ هو كون الكلام خفيّ الدلالة على المعنى المراد به، بحيث تكون الألفاظ غير مرتّبة على وفق ترتيب المعاني، كقول المتنبي:

جَفَخَتْ^١ و هم لا يَجْفَخُونَ بها بهم شِيمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَعْرُ دَلَائِلُ

١. افتخرت.

أصله: جفخت بهم شيمٌ دلائل على الحسب الأغرّ، وهم لا يجفخون بها.

الرابع: التعقيد المعنوي؛ كون التركيب خفيّ الدلالة على المعنى المراد، بحيث لا يفهم معناه إلا بعد عناء و تفكير طويل؛ بأن يكون فهم المعنى الثاني من الأوّل بعيداً عن الفهم عرفاً؛ لعدم الجريان على ما يتعاطاه أهل الذوق السليم كما في قول عبّاس بن الأحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا و تسكب عيناى الدّموع لتجمدا

جعل جمود العين كناية عمّا يوجهه التّلاقي من الفرح و السرور بقرب أحبّته و هو خفيّ و بعيدٌ إذ لم يُعرف في كلام العرب عند الدّعاء لشخصٍ بالسرور، أن يقال له: «جُمِدَتْ عَيْنُكَ» أو «لازالت عَيْنُكَ جامدة». بل المعروف عندهم أن جمود العين إنما يَكْنَى به عن عدم البكاء حالة الحزن، كما في قول الخنساء:

أعَيْنِي جُوداً و لا تَجْمُدَا ألا تبكيان لصخر النّدى

و هكذا كل الكنايات التي تستعملها العرب لأغراض و يغيّرُها المتكلّم و يريد بها أغراضاً أخرى تعتبر خروجاً عن سنن العرب في استعمالهم، و يُعدّ ذلك تعقيداً في المعنى، حيث لا يكون المراد بها واضحاً، نحو: «نشر الملكُ ألسنته في المدينة» مريداً جواسيسه و الصوّاب «نشر الملك عيونَه».

الخامس: كثره التكرار؛ كون اللفظ الواحد اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً و سواء أكان الاسم ظاهراً أو ضميراً، تعدّد مرّة بعد أخرى بغير فائدة كقوله:

دانٍ بعيدٌ محبٌ مبغضٌ بهج أغرّ حلّو ممرّ ليين شرّس

و كقول المتنبي:

أقلّ أنلّ أجملّ علّ سلّ عد زد هسّ بشّ تفضّل أدنّ سرّ صل

و كقول الشاعر:

و تُسعدني في غمرة بعد غمرة سبّوح لها منها عليها شواهد

السادس: تتابع الإضافات؛ كون الإسم مضافاً إضافة متداخلة غالباً، كقول ابن بابك:

حمامةُ جرعا حومةِ الجنديلِ اسجعي فأنتَ بمرأى من سُعادٍ و مَسْمَعِ

و ملخّص القول: إنّ فصاحة الكلام تكون بخلوّه من تنافر كلماته مجتمعة و من ضعف تأليفه و تعقيد معناه و من وضع ألفاظه في غير المواضع اللائقة بها.

فصاحة المتكلم

فصاحة المتكلم عبارة عن الملكة التي يقتدر بها صاحبها علي التعبير عن المقصود بكلامٍ فصيحٍ في أيّ غرضٍ كان، فيكون قادراً بصفة الفصاحة الثابتة في نفسه على صياغة الكلام متمكناً من التصرّف في ضروبه، بصيراً بالخوض في جهاته و مناحيه.

تمرين

بيّن العيوب التي أخلّت بفصاحة الكلام فيما يأتي:

وازورّ من كان له زائراً و عاف عافي العُرف عرفانه^١
أنّى يكون أبا البرايا آدم و أبوك و الثقلان أنت محمّد^٢
و من جاهل بي و هو يجهل جهله و يجهل علمي أنه بي جاهل
ليس إلاّك يا عليّ همّام سيفه دون عرضه مسلول^٣
من يهتدي في الفعل ما لا يهتدي في القول حتى يفعل الشعراء^٤

١. العيب في تنافر الكلمات، و المعنى انحرف عنه من كان يزوره، و كره طالب الإحسان معرفته.

٢. يريد كيف يكون آدم أبا البرايا و أبوك محمّد و أنت الثقلان أي الإنس و الجن. يعني: أنه قد جمع ما في الخليقة من الفضل و الكمال.

٣. فيه ضعف تأليف، حيث وضع الضمير المتصل بعد إلاّ، و حقه وضع المنفصل (إياك).

٤. أي: يهتدي في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول حتى يفعل.

الدرس الثالث

البلاغة

البلاغة في اللغة: الوصول و الإنتهاء. يقال: بلغ فلان مراده؛ إذا وصل إليه و بلغ الرّكب المدينة؛ إذا انتهى إليه. و بلغ الرّجل بلاغة؛ إذا أحسن التعبير عمّا في نفسه.

و في الإصطلاح: مطابقة الكلام لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه مفردها و مركّبها.

و الكلام البليغ، هو الذي يصوّره المتكلم بصورة تُناسب أحوال المخاطبين. و حال الخطاب، هو الأمر الحامل للمتكلّم على أن يُورد عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى.

و المقتضى، هو الصورة المخصوصة التي تُورد عليها العبارة، مثلاً «المدح» حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب و «ذكاء المخاطب» حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز، فكلُّ من المدح و الذكاء «حالٌ» و كلُّ من الإطناب و الإيجاز «مقتضى». و إيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز «مطابقة للمقتضى».

و ملخّص القول: أن الأمر الذي يحمل المتكلم على إيراد كلامه في صورةٍ دون أخرى، يُسمّى «حالا» و إلقاء الكلام على هذه الصورة التي إقتضاها الحال، يسمّى «مقتضى»، و البلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال.

بلاغة المتكلم

بلاغة المتكلم، هي ملكة في النفس يفتدّرُ بها صاحبها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال مع فصاحة عباراته في أيّ معنى قصده. و تلك غايةٌ لن يصل إليها إلا من أحاط بأساليب العرب خُبراً و عرف سنن تخاطبهم في مُنافراتهم و مُفاخراتهم و مديحهم و هجائهم و شكرهم و اعتذارهم؛ ليلبس لكلّ حالة لبوسها و لكلّ مقام مقال.

ملاحظات

١. التنافر يعرف بالذوق السليم و الحسّ الصادق.
 ٢. مخالفة القياس تعرف بعلم الصرف.
 ٣. ضعف التأليف و التعقيد اللفظي يعرفان بعلم النحو.
 ٤. الغرابة تعرف بكثرة الإطلاع على كلام العرب و الإحاطة بالمفردات المأنوسة.
 ٥. التعقيد المعنوي يعرف بعلم البيان.
 ٦. الأحوال و مقتضياتها تعرف بعلم المعاني.
 ٧. خلوّ الكلام من أوجه التحسين التي تكسوه رقة و لطافة بعد رعاية مطابقتها يعرف بعلم البديع.
- فإذاً و جب على طالب البلاغة، معرفة اللّغة و الصّرف و النّحو و المعاني و البيان و البديع، مع كونه سليم الذّوق، كثير الإطلاع على كلام العرب و دراية تامّة بعاداتهم و أحوالهم.

تمرين

بيّن الحال و مقتضاه فيما يلي:

- قال الله تعالى: و أنّا لا ندري أشرُّ أريدَ بمن في الأرض أم أراد بهم ربُّهم رشداً [الجن: ١٠]

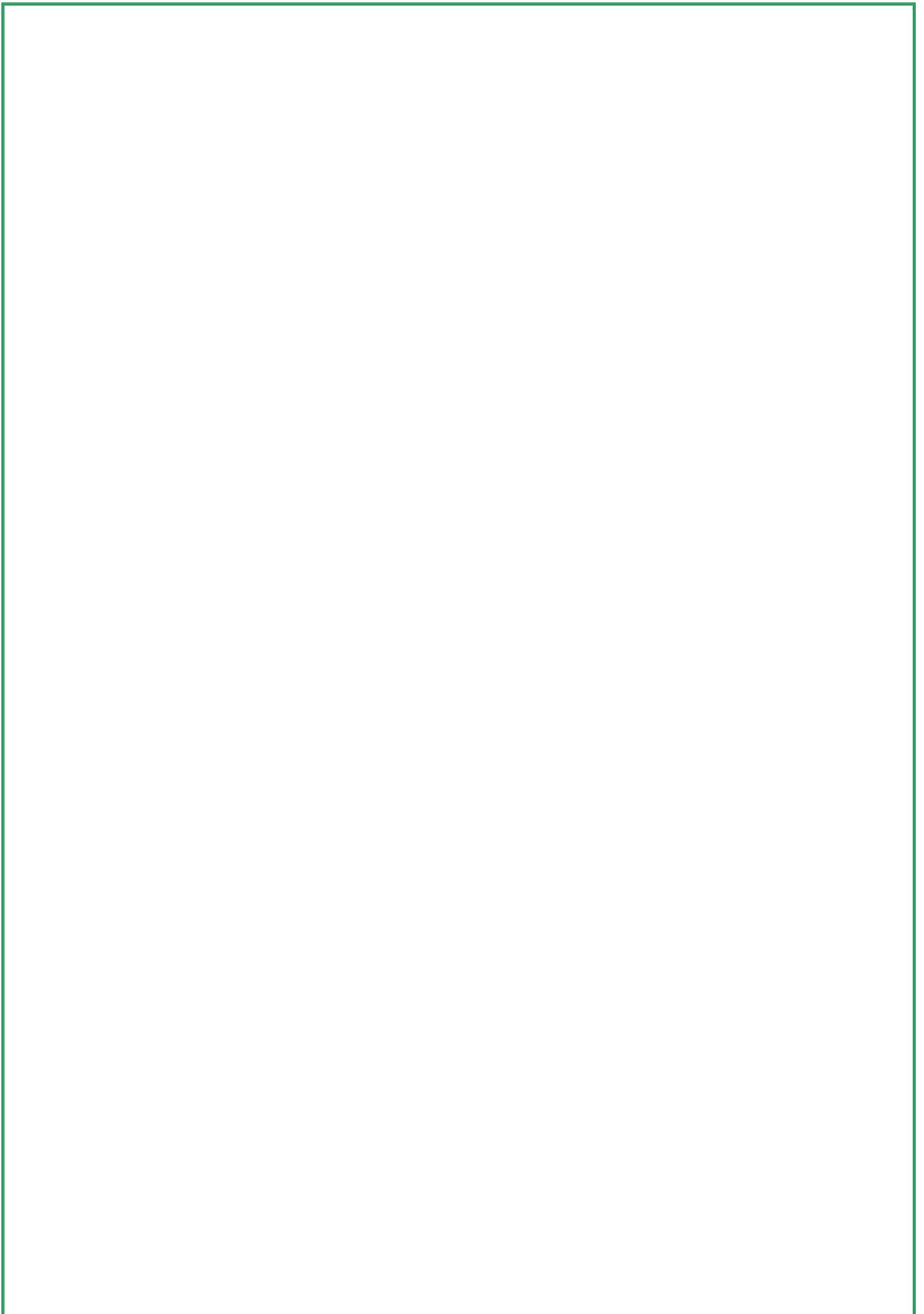
- خُلِقَ الإنسان هلو عاً. [المعارج: ١٩]

- خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلٍ. [الأنبياء: ٣٧]

- يقول راثي البرامكة:

أَصِبتُ بسادةٍ كانوا عيوناً بهم نُسقى إذا انقطع الغمامُ

١. الحال هنا هو الخوف من (هارون الرشيد) ناكبُ البرامكة، و المقتضى حذف الفاعل من أصبت.



علم المعاني

فيه ثمانية أبوابٍ و خاتمة

١. في تقسيم الكلام إلى خبر و إنشاء

٢. في الإنشاء

٣. في أحوال المسند إليه

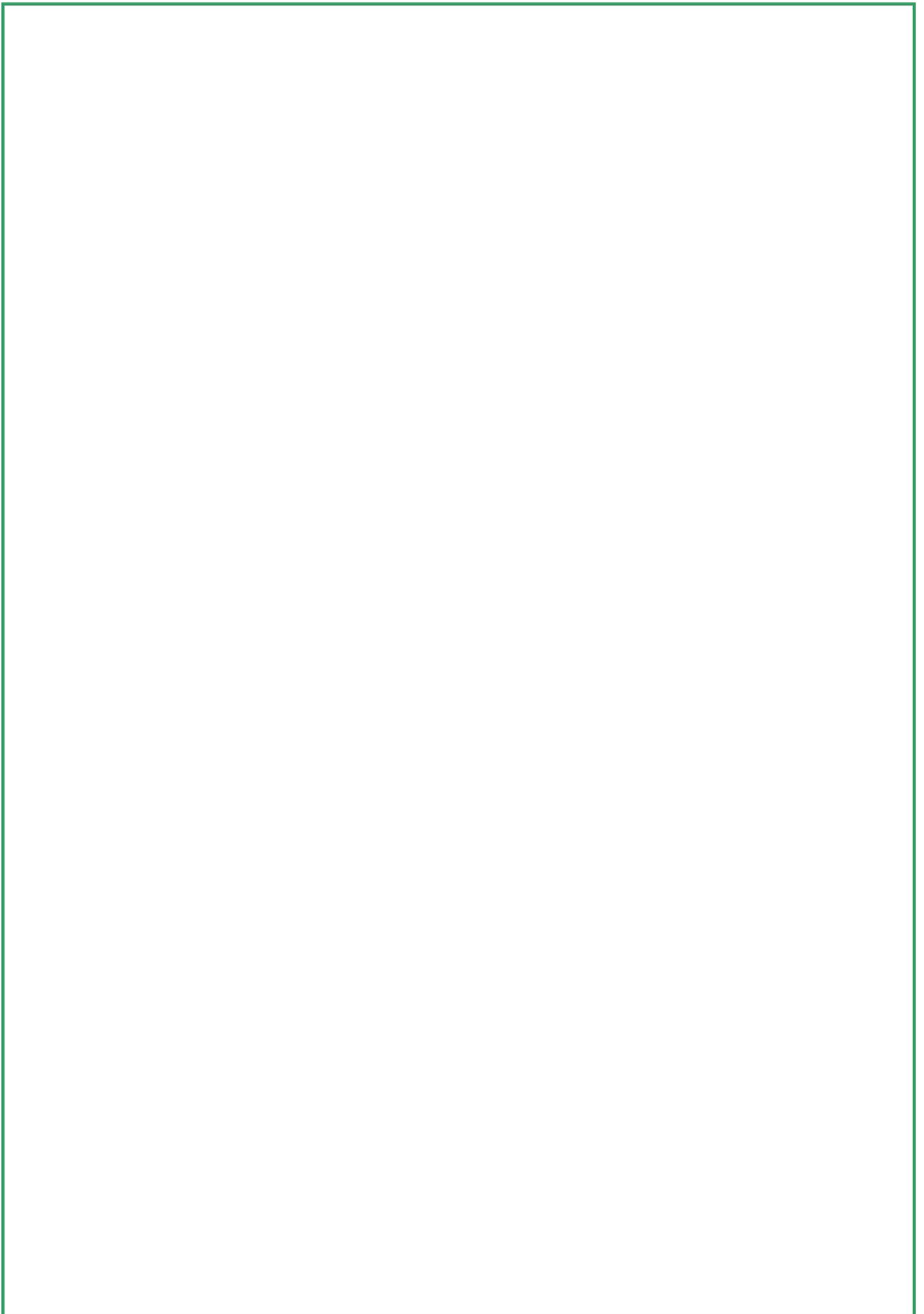
٤. في أحوال المسند

٥. في أحوال متعلقات الفعل

٦. في القصر

٧. في الوصل و الفصل

٨. في الإيجاز و الإطناب و المساواة



الدرس الرابع

علم المعاني

تعريف علم المعاني و موضوعه و واضعه

١. علم المعاني؛ أصول و قواعد يعرف بها أحوال الكلام العربيّ التي يكون بها مطابقاً لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سبق له.

فذكاء المخاطب، حالٌ تقتضي إيجاز القول، فإذا أوجزت في خطابه كان كلامك مطابقاً لمقتضى الحال. و غباوته حالٌ تقتضي الإطناب و الإطالة؛ فإذا جاء كلامك في مخاطبته مُطنباً فهو مطابق لمقتضى الحال و يكون كلامك في الحالين بليغاً، و لو أنك عكستَ لانتفت من كلامك صفةُ البلاغة.

٢. و موضوعه اللفظ العربي، من حيث إفادته المعاني الثواني التي هي الأغراض المقصودة للمتكلّم؛ من جعل الكلام مشتماً على تلك اللطائف و الخصوصيات التي بها يطابق مقتضى الحال.

٣. و فائدته:

أ. معرفة إعجاز القرآن الكريم من جهة ما خصّه الله به من جودة السّبك و حسن الوصف و براعة التراكيب و لطف الإيجاز و ما اشتمل عليه من سهولة التركيب و جزالة كلماته و عذوبة ألفاظه و سلامتها، إلى غير ذلك من محاسنه التي أعددت العرب عن مُناهضته و حارت عقولهم أمام فصاحته و بلاغته.

ب. و الوقوف على أسرار البلاغة و الفصاحة في منشور كلام العرب و منظومه، كي تحتذى حذوه و تنسج على منواله و تفرق بين جيّد الكلام و رديئه.

٤. و واضعه؛ الشيخ عبد القاهر الجرجاني^١.

٥. و استمداده؛ من الكتاب الشريف و الحديث النبوي و أحاديث المعصومين، عليهم السلام، و كلام العرب.

١. عبدالقاهر الجرجاني: توفى سنة ٤٧١هـ كان نحوياً و فقيهاً، أشهر كتبه: دلائل الإيجاز و أسرار البلاغة.

أركان الكلام

و اعلم أن لكل جملة ركنين:

أ. مسنداً و يسمّى محكوماً به أو مخبراً به،

ب. مسنداً إليه و يسمّى محكوماً عليه أو مخبراً عنه.

و أمّا النسبة التي بينهما فتدعى إسناداً. و مازاد على المسند و المسند اليه من مفعول و حال و تمييز و نحوها فهو قيد زائد على تكوينها إلا صلة الموصول و المضاف إليه.

و الإسناد انضمام كلمة «المسند» إلى أخرى «المسند إليه» على وجه يقيّد الحكم بإحدهما على الأخرى ثبوتاً أو نفيّاً، نحو: الله واحد لا شريك له.

مواضع المسند

مواضع المسند ثمانية:

١. خبر المبتدأ، نحو «قادر» من قولك: الله قادر.
٢. و الفعل التّام، نحو «حضر» من قولك: حضر الأمير.
٣. و اسم الفعل، نحو: «هيهات» و «ويّ» و «آمين».
٤. و المبتداء الوصف المستغني عن الخبر بمرفوعه، نحو: «عارف» من قولك: أعارفٌ أخوك قدرَ الإنصاف.
٥. و أخبار النواسخ، كان و نظائرها و إنّ و نظائرها.
٦. و المفعول الثاني لظنّ و أخواتها، نحو: «و ما أظنّ الساعة قائمة». [كهف: ٣٦]
٧. و المفعول الثالث لأرى و أخواتها، نحو: «يُرِيهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم». [البقرة: ١٦٧]
٨. و المصدر النائب عن الفعل، نحو:

فما نيلُ الخلود بمُستطاع

فصبراً في مجال الموت صبراً

مواضع المسند إليه

مواضع المسند إليه ستة:

١. الفاعل للفعل التام أو شبهه، نحو: فؤاد و أبوه من قولك: حضر فؤاد العالم أبوه
 ٢. و أسماء النواسخ، كان و أخواتها و إن و أخواتها، نحو: «المطر» من قولك: كان المطر غزيراً، و نحو: إن المطر غزير.
 ٣. و المبتدأ الذي له خبر، نحو «العلم» من قولك: العلم نافع.
 ٤. و المفعول الأول لظن و أخواتها، نحو: حسبت صديقي نائماً.
 ٥. و المفعول الثاني لأرى و أخواتها، نحو: أريتك العلم نافعاً.
 ٦. و نائب الفاعل، كقوله: «و وضع الكتاب».
- و ينحصر علم المعاني في ثمانية أبواب و خاتمة.

تمرين

عين المسند و المسند إليه فيما يأتي:

- هيهات هيهات لما توعدون. [المؤمنون: ٣٦]
- قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم. [مريم: ٤٦]
- و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحساناً. [البقرة: ٨٣]
- يُريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم. [البقرة: ١٦٧]
- ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله واسعٌ عليم. [المائدة: ٥٤]
- يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار. [النور: ٤٣]
- كفي برّبك هادياً و نصيراً. [الفرقان: ٣١]
- و لولا دفعُ الله النَّاسَ بعضهم ببعضٍ لفسدتِ الأرضُ ولكنَّ اللهَ ذو فضلٍ على العالمين. [آل عمران: ٢٥١]
- هيهات منا الذلّة.

الباب الأوّل

فى

تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

الكلام قسمان: خبرٌ وإنشاءٌ

فالخبر ما يصحّ أن يقال لقائله إنّه صادقٌ فيه أو كاذبٌ، فإن كان الكلام مطابقاً للواقع كان قائله صادقاً، وإن كان غير مطابقٍ له كان قائله كاذباً.

تقسيم الخبر إلى جملة اسمية وجملة فعلية

و الخبر إما جملة إسمية و إما جملة فعلية، فالجملة الإسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير، فإذا قلت: الهواء معتدل لم يفهم من ذلك سوى ثبوت الاعتدال للهواء من غير نظر إلى حدوث أو استمرار، و قد يكتنفها من القرائن ما يخرجها عن أصل وضعها فتفيد الدوام و الإستمرار، كأن يكون الكلام في معرض المدح أو الذم، و من ذلك قوله تعالى: «وإنك لعلی خلقٍ عظیم».

أما الجملة الفعلية فموضوعة لإفادة الحدوث فى زمنٍ معيّنٍ مع الإختصار، فإذا قلت: «أمطرت السماء» لم يستفد السامع من ذلك إلا حدوث الأمطار فى الزمن الماضى، و قد تفيد الإستمرار التجدد بالقرائن كما فى قول المتنبي:

تُدبّر شرق الأرض و الغرب كُفّه
و ليس لها يوماً عن المجد شاغلٌ

فإن المدح قرينة دالة على أن التدبير أمر مستمرّ متجددٌ أنا فأنا. و الجملة الإسمية لاتفيد الثبوت بأصل وضعها و لا الإستمرار بالقرائن، إلا إذا كان خبرها مفرداً نحو الوطن عزيز أو الجملة الإسمية، نحو: الوطن هو سعادتي. أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تُفيد التجدد نحو

نروح و نغدو لحاجاتنا
و حاجة من عاش لا تنقضى

الغرض من إلقاء الخبر

لأصل في الخبر أن يُلقى لأحد غرضين:

الأول: إفادة المخاطب الحكم الذي تضمّنته الجملة، نحو: الأرض تدور حول الشمس، تقول ذلك لمن لا يعرف ذلك ويُسمّى ذلك الحكم فائدة الخبر.

الثاني: إفادة المخاطب العالم بالحكم أن المتكلّم عالم به أيضاً كقولك لصديقك: «نالك من السفر نصّبٌ شديدٌ» تدلّه على أنك عالمٌ مثله بهذا الأمر وسمّى ذلك لازم الفائدة؛ غير أننا نرى في الكلام جملاً خبرية كثيرة لا يقصدُ بها إفادة المخاطب الحكم ولا أن المتكلّم عالمٌ به، وإنما يُراد بها أغراض أخرى، فتكون قد خرجت عن معناها الأصلي إلى تلك الأغراض التي تفهم من قرائن الأحوال و سياق الكلام. وإليك أشهر هذه الأغراض:

١. الإسترحام: نحو قول الشاعر:

ربّ إنّي لا أستطيع اصطباراً فاعفُ عنّي يا من يُقيلُ العثارا

فليس الغرض هنا إفادة الحكم ولا لازم الفائدة، لأنّ الله تعالى عالمٌ بهما ولكن المراد طلب الرحمة.

٢. التحسّر على شيء محبوب، كالتحسّر على فقد الشباب في قول الشاعر:

ذَهَبَ الشبابُ فما له من عودةٍ وأتى المشيبُ فأين منه المهربُ

٣. الفخر: إن الله اصطفاني من قريش

٤. التحذير: أبغض الحلال إلى الله الطلاق

٥. المدح: كقول النابغة الذبياني في مدح النعمان بن المنذر:

فإنّك شمسٌ و الملوک کواکبُ إذا طلعت لم يبدُ منهنّ کواكبُ

٦. التهديد: كقولك لعدوّك: غداً تعرفُ من أنا

و قد تجيء الأخبار لغير ما ذكر من الأغراض، كما يظهر الضعف و الحثّ على السعيّ و الجدّ و إظهار الفرح و التوبيخ، و المرجع في معرفة ذلك كلّّه، العقل و الذوق السليم.

تمرين

١. ميّز الجمل الخبرية من الجمل الإنشائية فيما يأتي:

- قال عليّ عليه السلام: توقّوا البرد في أوّله و تلقّوه في آخره؛ فإنّه يفعل بالأبدان كفعله بالأشجار، أوّله يُحرق و آخره يُورق.

- قال بعض الحكماء لابنه: يا بُنَيَّ تعلّم حسن الإستماع كما تتعلّم حسن الحديث.

- شرّ الناس الذين يُكرّمون اتّقاء ألسنتهم.

- أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

- أوصى عبدالله بنُ عباس رجلاً فقال: لا تتكلّم بما لا يعينك، ودع الكلام في كثير ممّا يعينك حتّى تجد له موضعاً.

- قال تعالى: جاء الحقّ و زهق الباطل. [الإسراء: ٨١]

٢- قال تعالى: قالت رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ. [آل عمران: ٣٦]

- أَنْتَ بَدْرٌ فِي رَفْعَةٍ وَ ضِيَاءٌ تَجْتَلِيكَ الْعَيُونُ شَرْقاً وَ غَرْباً

- كَفَىٰ بِجَسَمِي نَحْوَالاً أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مَخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْنِي

- وَ مَكَارِمِي عِدْدُ النُّجُومِ وَ مَنْزِلِي مَأْوَى الْكِرَامِ وَ مَنْزِلُ الْأَضْيَافِ

- إِنَّ الثَّمَانِينَ وَ بُلُغْتَهُمَا قَدْ أَحْوَجْتُ سَمْعِي إِلَى تَرْجَمَانِ

الدرس السادس

أضرب الخبر

للمخاطب ثلاث حالات:

- أ. أن يكون خالي الذهن من مضمون الخبر و في هذه الحال يُلقى إليه الخبر خالياً من أدوات التوكيد، و يسمّى هذا الضرب من الخبر إبتدائياً، نحو: «الحياءُ زينة الحياة».
- ب. أن يكون متردداً في الحكم طالباً أن يصل إلى اليقين في معرفته، و في هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكّن من نفسه، و يسمّى هذا الضرب طلبياً، نحو: إن الحق يعلو و لا يُعلى عليه.
- ج. أن يكون منكراً له و في هذه الحال يجب أن يؤكّد الخبر بمؤكّد أو أكثر على حسب إنكاره قوّة و ضعفاً و يسمّى هذا الضرب إنكارياً، نحو: إنّ النفس لأثارة بالسوء.

فائدة

لتوكيد الخبر أدوات كثيرة، منها: إنّ و لامُ الإبتداء و أحرف التنبية و القسم و نونا التوكيد، و الحروف الزائدة، و تكرير الجملة، و أما الشرطية التفصيليّة و ضميرُ الفصل، نحو: إنّ الفراغ مفسدةٌ، لأنّ أنت أحقّ بالإكرام، ها أنتم أولاء تُحبّونهم و لا يحبّونكم [آل عمران: ١١٩]، تالله لأكيدنّ أصنامكم [الأنبياء: ٥٧]، لستّ عليهم بمُصيطر [الغاشية: ٢٢]، كلا سوف تعلمون ثمّ كلا سوف تعلمون [التكاثر: ٣-٤] و أما من آمن و عمل صالحاً فله جزاء الحسنى [الكهف: ٨٨]، أصحاب الجنة همّ الفائزون [الحشر: ٢٠].

خروج الخبر عن مقتضى الظاهر

إذا ألقى الخبر خالياً من التوكيد لخالي الذهن و مؤكّداً استحساناً للسائل المتردد، و مؤكّداً وجوباً للمنكر، كان ذلك الخبر جارياً على مقتضى الظاهر.

و قد يجري الخبر على خلاف ما يقتضيه الظاهر لاعتبارات يلحظها المتكلّم و من ذلك ما يأتي:

- أ. أن يُنزل خالي الذهن منزلة السائل المتردد إذا تقدّم في الكلام ما يُشير إلى حكم الخبر كقوله سبحانه و تعالى: «و لا تُخاطبني في الذين ظلموا إنّهم مغرّقون». [مؤمنون: ٢٧] إنّ الله سبحانه لما نهى نوحاً عن مخاطبته في شأن مخالفته دفعه ذلك إلى التطلّع إلى ما سيصيبهم، فنزل لذلك منزلة السائل المتردد، أحكمّ عليهم بالإغراق أم لا؟ فأجيب بقوله: «إنّهم مغرّقون».

ب. أن يُجعل غير المنكر كالمنكر لظهور أمارات الإنكار عليه، كقوله تعالى: «ثم إنكم بعد ذلك لميتون» فإن غفلتهم عن الموت و عدم استعدادهم له بالعمل الصالح يُعدّان من علامات الإنكار، و من أجل ذلك نُزّلوا منزلة المنكرين و أُلقي إليهم الخبر مؤكداً بمؤكّدين.

ج. أن يُجعل المنكر كغير المنكر، كقوله تعالى يخاطب منكري وحدانيته: «وإلهم إله واحد». الوجه أن بين أيدي هؤلاء من البراهين الساطعة و الحجج القاطعة ما لو تأملوه لوجدوا فيه نهاية الإقناع و لذلك لم يُقم الله لهذا الإنكار وزناً و لم يعتدّ به في توجيه الخطاب إليهم. و كالجهد ضارّ تقوله لمن يُنكر ضرر الجهل، فإنّ لدى المخاطب من الدلائل على ضرر الجهل ما لو تأمله لارتدع عن إنكاره و لذلك أُلقي إليه الخبر خالياً من التوكيد.

تمارين

١. أحصِ المؤكّدات في العبارات التالية و بين ضروب الخبر الثلاثة:

- و قالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون. [شعراء: ٤٤]

- «و لئن لم يفعل ما أمره لیسجننّ و لیکونا من الصاغرين». [يوسف: ٣٢]

- و ما تسقط من ورقه إلا يعلمها. [الأنعام: ٥٩]

- ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت. [ملك: ٣]

- و ما الله بغافل عما تعملون. [البقرة: ٧٤]

- إنا إليكم مرسلون. [يس: ١٤]

- أمّا الفراق فإنّنه ما أعهد

هو توءمي لو أنّ بيناً يولد

- ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً

متبسّماً عن باطن مُتجهّم

- فما الحدائث عن حلمٍ بانعة

قد يوجد الحلم في الشبان و الشيب

٢. بيّن وجه خروج الخبر عن مقتضى الظاهر في كلّ مثالٍ من الأمثلة الآتية:

١- إنّ برّ الوالدين لواجب (تقوله لمن لا يُطيعُ والديه).

٢- الله موجودٌ (تقول لمن يُنكر وجود الإله).

٣- إنّ الله لمطلع على أفعال العباد (تقوله لمن يظلم الناس بغير حق).

٤- العلم نافع (تقول ذلك لمن ينكر فائدة العلوم).

١. لما روى القرآن قصة رُسل عيسى الذين أرسلهم إلى قومه فأنكروا رسالتهم، قال لهم الرُّسل: «إنا إليكم لمرسلون» مؤكّدين لهم القول بمؤكّد ثالث، فجدوا، فقالوا لهم: «ربّنا يعلم إنا إليكم لمرسلون» فزادوا مؤكّداً رابعاً و هو القسم.

الباب الثاني

فى الإنشاء

الإنشاء لغة: الإيجاد، و اصطلاحاً كلامٌ لا يَحتمل صدقاً و لا كذباً، نحو اغفر و ارحم، فلا يُنسب إلى قائله صدق أو كذب. و إن شئت فقل في تعريف الإنشاء: هو ما لا يحصل مضمونه و لا يتحقق إلا إذا تلفظت به، و الإنشاء نوعان: طلبى و غير طلبى؛

أ. فالطلبى ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، و يكون بالأمر و النهي و الإستفهام و التمني و النداء.
ب. و غير الطلبى ما لا يستدعي مطلوباً، و له صيغ كثيرة، منها: التعجب، و المدح و الذم، و القسم، و أفعال الرجاء و كذلك صيغ العقود، نحو: «ما أصدقك!»، «نعم الخلة الشجاعة»، «بئس رجلاً الجبان»، «والله لأجتهدن»، «لعل المريض يشفى»، «بعث واشتريت».

الإنشاء الطلبى

١. الأمر

الأمر طلب الفعل على وجه الإستعلاء. للأمر أربع صيغ: فعل الأمر، نحو: يا يحيى خذ الكتاب بقوة، و المضارع المقرون بلام الأمر، نحو: ليُنْفِق ذوسعة من سعته، و اسم فعل الأمر، نحو: عليك بالإجتهد، و المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: و بالوالدين إحساناً.

قد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلية إلى معانٍ أخرى تُستفاد من سياق الكلام و إليك أهمها:

١. الإرشاد كقوله تعالى: إذا تدايتم بدينٍ إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل. [البقرة: ٢٨٢]

٢. الدعاء: و يكون من الأدنى إلى من هو أعلى منه فى قوله تعالى: رب أوزعنى أن أشكر نعمتك [النمل: ١٩]

٣. الإباحة: و إذا حللتهم فاصطادوا. [المائدة: ٢]

٤. التهديد: إعملوا ما شئتم، إته بما تعملون بصير. [فصلت: ٤٠]

٥. الإلتماس: كقولك لمن يُساويك: أعطني القلم أيها الأخ.

٦. الدوام: كقوله تعالى: «إهدنا الصراط المستقيم». [الحمد: ٦].

٧. التأديب: نحو: كل مما يليك.

٨. التسوية: نحو قوله تعالى: فاصبروا أو لاتصبروا. [الطور: ١٦]

٢. النهي

النَّهْيُ: طلب الكفّ عن الفعل على وجه الإستعلاء. للنَّهْيِ صيغة واحدة و هي المضارع مع لا الناهية، كقوله تعالى: ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتى هي أحسن. [الأنعام: ١٥٢]

و قد تخرج صيغة النَّهْيِ عن معناها الحقيقيّ إلى معان أخرى تُستفاد من السياق و قرائن الأحوال و إليك أهمّها. الدّعاء: كقوله تعالى: «ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا» [البقرة: ٢٨٦]

الإلتماس: كقولك لمن يُساويك: أيّها الأخ لا تتوان.

الإرشاد: كقول أبي العلاء المعرّي:

فإنّ خلائق السُّفهاء تُعدي

و لا تجلس إلى أهل الدّنيا

التهديد: كقولك لمن هو دونك: «لا تطع أمري».

التمنيّ: كقوله الشاعر:

يا صُبح قف لا تطلع

يا ليلُ طُل يا نوم زُل

التوبيخ: كقوله الشاعر:

عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمٌ

لاتنهَ عن خُلُقٍ و تأتي مثله

التّحقير: كقوله:

واقعد فإنّك أنت الطّاعم الكاسي

دع المكارم لا ترحل لبغيّتها

تمارين

١. بين ما يُراد من صيغ الأمر في التراكيب الآتية:

أرى ما ترين أو بخيلاً مخلصاً

- أريني جواداً مات هزلاً لعلّني

- اللّهم عاملنا بفضلك و لا تُعاملنا بعدلك.

و هاتوا كريماً مات من كثرة البذل

- أروني بخيلاً طال عمراً ببخله

- و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة. [البقرة: ٤٣]

- قول أحد الحكماء لابنه: «يا بُنَيَّ استعذ بالله من شرار الناس، و كن من خيارهم على حذر».

- قل تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ. [ابراهيم: ٣٠]

- ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ. [الدخان: ٤٩]

- قل هاتوا برهانكم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. [النمل: ٦٤]

- إِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا.

٢. أذكر ما يُراد من صيغ النهي الآتية:

- «و لا تلبسوا الحقَّ بالباطل و تكتموا الحقَّ و أنتم تعلمون». [البقره: ٤٢]

- «يا أيها الذين كفروا لا تعتذرو اليوم». [التحریم: ٧]

- فلا تلزمنا الناس غير طباعهم

فتتعب من طول العتاب ويتعبوا

- لا تحسب المجد تماً أنت آكله

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصُّبرا

- لا تيأسوا أن تستردّوا مجدكم

فلربّ مغلوبٍ هوى ثم ارتقى

- فلا تهج إن كنت ذا إربة

حرب أخى التجربة العاقل

الدرس الثامن

٣. الإستفهام

الإستفهام: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل. و ذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية و هي: الهمزة، و هل و ما و متى و أيان و كيف و أين و أنى و كم و أيّ.

الهمزة: يُطلب بالهمزة أحد أمرين: تصوّر أو تصديق، فالتصوّر هو إدراك المفرد، نحو: أعلّئ مسافرٌ أم سعيدٌ؟ تعتقد أنّ السفر حصل من أحدهما و لكن تطلبُ تعيينه، و لذا يُجاب فيه بالتعيين، فيقال: سعيدٌ مثلاً.

و التصديق: هو إدراك وقوع نسبة تامّة بين المسند و المسند إليه أو عدم وقوعها بحيث يكون المتكلم خالي الذهن ممّا استفهم عنه في جملته مصدّقاً للجواب إثباتاً بنعم أو نفيّاً بلا، نحو: أَحَصَرَ الأميرُ، تستفهم عن ثبوت النسبة و نفيها، و في هذه الحالة يجابُ بلفظة نعم أو لا.

هل: يطلب بها التصديق فقط، أي معرفة وقوع النسبة أو عدم وقوعها لاغير، نحو: هل حافظ الإيرانيون على مجد أسلافهم؟

ما: يطلب بها شرح الإسم أو حقيقة المسمّى، نحو: ما العسجدُ؟ ذهبٌ و نحو: ما الشمس؟ إنّه كوكبٌ نهاريّ.

من: يطلب بها تعيين أفراد العقلاء، نحو: من سيّد هذه القناطر؟

متى: يطلب بها تعيين الزمان، سواء كان ماضياً أو مستقبلاً، نحو: متى تولّى الحكومة الرئيس الجمهوريّة؟ و متى نحطّى بالحرّيّة؟

أيان: يطلب بها تعيين الزمان المستقبل خاصّة و تكون في موضع التهويل و التفخيم دون غيره، نحو: يسأل أيان يومُ القيامة؟[القيامة: ٦] و أيان قيامُ المهدي(عج)؟

كيف: يطلب بها تعيين الحال، نحو: فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيدٍ. [النساء: ٤١]

أين: يطلب بها تعيين المكان، نحو: أين شرّ كائكم؟

أنى: تأتي لمعانٍ كثيرة: تكون بمعنى:

١. كيف، نحو: «أنى يُحیی هذه الله بعد موتها». [البقرة: ٢٥٩]

٢. من أين، نحو: «يا مريم أنى لك هذا». [آل عمران: ٣٧]

٣. متى، نحو: «زرني أنى شئت».

كم: يطلب بها تعيين عدد مبهم، نحو: كم لبثتم؟. [الكهف: ١٩]

أيّ: يطلب بها تمييز أحد المتشاركين في أمر يعمّهما، نحو: أيّ الفريقين خيرٌ مقاماً. [مريم: ٧٣]

و قد تخرج ألفاظ الإستفهام عن معناها الأصلي و هو طلب العلم بمجهول، فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به لأغراضٍ أخرى، تُفهم من سياق الكلام و دلالته، و من أهمّ ذلك:

١. الأمر، كقوله تعالى: (فهل أنتم متتهون). [المائدة: ٩١] أي: إنتهوا.
٢. و النهي، كقوله تعالى: (أتخشونهم فالله أحقّ أن تخشوه). [التوبة: ١٣] أي: لا تخشوهم.
٣. و النفي، كقوله تعالى: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان). [الرحمن: ٦٠] أي: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

٤. و الإنكار، كقوله تعالى: (أغير الله تدعون). [الأنعام: ٤٠]

٥. و التشويق، كقوله تعالى: (هل أدلكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذاب أليم). [الصف: ١٠]

٦. و التقرير، كقوله تعالى: (ألم نشرح لك صدرك). [الشرح: ١]

٧. و التهويل، كقوله تعالى: (القارعة ما القارعة و ما أدراك ما القارعة). [القارعة: ٣]

٨. و الإستبعاد، كقوله تعالى: (أنّى لهم الذكرى و قد جاءهم رسولٌ مبين). [الدخان: ١٣]

٩. و التعظيم، كقوله تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه). [البقرة: ٢٥٥].

١٠. و التحقير، نحو: أهذا الذّي مدحته كثيراً؟

١١. و التهكّم، نحو: أعقلك يسوّغ لك أن تفعل كذا؟

١٢. و الوعيد، كقوله تعالى: (ألم تر كيف فعل ربك بعادٍ). [الفجر: ٦]

١٣. و الإستبطاء، كقوله تعالى: (متى نصر الله) [البقرة: ٢١٤] و نحو: كم دعوتك.

١٤. و التنبيه على الخطاء، كقوله تعالى: (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ). [البقرة: ٦١]

١٥. و التنبيه على الباطل، كقوله تعالى: (أفأنت تُسمع الصمّ أو تهدي العمي). [الزخرف: ١٤٠]

١٦. و التنبيه على ضلال الطريق، كقوله تعالى: (فأين تذهبون). [التكوير: ٢٦]

واعلم: أنّه يستعمل كلّ من الأمر و النهي و الإستفهام في أغراضٍ أخرى يُرجع في إدراكها إلى الذوق الأدبي، و لا يكون استعمالها في غير ما وضعت له إلا لطريقة أدبية تجعل لهذا الإستعمال مزية، يترقى بها الكلام في درجات البلاغة.

١. إعلم أنّ الإنكار إذا وقع في الإثبات يجعله نفيًا، كقوله تعالى: أفي الله شك؟ أي: لا شكّ فيه. و إذا وقع في النفي يجعله إثباتًا، نحو قوله تعالى: ألم يجدك يتيماً؟ أي: قد وجدناك.

تمرين

ماذا يُراد بالإستفهام فيما يلي:

- قوله تعالى: وَمَنْ يَغْفِر الذَّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ. ^١ [آل عمران: ١٣٥]
- قوله تعالى: وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ. ^٢ [آل عمران: ٢٠]
- أَنَلَهُمْ وَأَيَّامُنَا تَذْهَبُ وَ نَلْعَبُ وَ الْمَوْتُ لَا يَلْعَبُ ^٣
- وَ كَيْفَ أَحَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرَمَ الْغَنِيِّ وَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلٌ ^٤
- فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ بِضَائِرِي أَطْنِينَ أَجْنَحَةَ الذُّبَابِ يَضِيرُ
- أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ. [العنكبوت: ٦٧]
- مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعَفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ. [الحديد: ١١]
- قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَ النُّورُ. [الرعد: ١٦]
- مَنْ لِي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتَهُ وَ جَهَلْتُ كَانَ الْحَلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ
- قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لَا يَبْلَى. [طه: ١٢٠]
- أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ. [الزمر: ٣٧]
- أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ نَفْعَلُ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ. [هود: ٨٧]
- أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. [الفيل: ١]

١. أى: لا يغفر الذنوب.

٢. أى: أسلموا.

٣. أى: النهى عن اللعب يصح أن يكون للتهكم.

٤. أى: النفي و ذلك أوقع فى المدح.

الدرس التاسع

٤. التمني

التمني: هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يُرجى، و لا يُتوقع حصوله.

١. إمّا لكونه مستحيلاً كقوله:

– أليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

٢. و إمّا لكونه ممكناً غير مطموحٍ في نيّله، كقوله تعالى: «يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون». [القصص: ٧٩]

و إذا كان الأمر المحبوب ممّا يُرجى حصوله كان طلبه ترجياً. و يُعبّر فيه بعسى و لعلّ، كقوله تعالى: «لا تدري

لعلّ الله يُحدث بعد ذلك أمراً». [الطلاق: ١] و «فَعسى الله أن يأتي بالفتح». [المائدة: ٥٢] و قد تُستعمل في الترجي

«ليت» لغرض بلاغيّ و الغرض هو إبراز المرجوّ في صورة المستحيل مبالغة في بُعد نيّله، كقول الشاعر:

فيا ليت ما بيني وبين أحبّتي من البعد ما بيني وبين المصائب

و قد تستعمل أيضاً للتندّم، نحو: «يا ليتني اتّخذت مع الرسول سبيلاً». [الفرقان: ٢٧]

و للتمني أربع أدوات، واحدة أصلية و هي ليت، و ثلاث غير أصلية نائبة عنها، و يتمني بها لغرض بلاغي و هي:

١. هل^١ كقوله تعالى: (فهل لنا من شُفَعاء فيشفعوا لنا). [الأعراف: ٥٣]

٢. و لو^٢، كقوله تعالى: (فلو أنّ لنا كرامة فنكون من المؤمنين).^٣ [الشعراء: ١٠٢]

٣. و لعلّ^٤ كقوله:

أسرب القطاهل من يُعيرُ جناحه لعلّي إلى من قد هويتُ أطيرو

و لأجل استعمال هذه الأدوات في التمني يُنصبُ المضارع الواقع في جوابها.

١. أعلم أنّ سبب العدول عن «ليت» إلى «هل» إبراز التمنيّ لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا يجزم بانتفائه، و هو المستفهم عنه.

٢. و سبب العدول إلى «لو» الدلالة على عزة متمناه و ندرته، حيث أبرزه في صورة الذي لا يوجد، لأن «لو» تدلّ بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

٣. لما كان عدم الشفَعاء معلوماً لهم إمتنع حقيقة الإستفهام، و تولّد منه المناسب للمقام.

٤. و ذلك لبُعد المرجو، فكأنّه ممّا لا يُرجى حصوله.

٥. النداء

النداء: هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب أنادي المنقول من الخبر إلى الإنشاء و أدواته ثمان: الهمزة و أئ و يا و آي و أيا و هيا و وا و آ.

و هي في كيفية الإستعمال نوعان:

١. الهمزة و أي لنداء القريب.

٢. و باقي الأدوات لنداء البعيد.

و قد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي إلى معان أخرى، تُفهم من السياق بمعونة القرائن، و من أهم ذلك:

١. الإغراء، نحو قولك لمن يتظلم: يا مظلوم.

٢. و الاستغاثة، نحو: يا لله للمؤمنين.

٣. و الندبة، كقول أبي العلاء المعري:

و وا أسفا كم يُظهر النَّقصَ فاضلُ

فوا عجبا كم يدعي الفضل ناقصُ

٤. و التعجب، كقول الشاعر:

خلا لكِ الجؤُ فيبضي و اصفري

يا لكِ من قُبْرَةٍ بِمَعْمَرِ

٥. و الزجر، كقول الشاعر:

و قد كان منه البرُّ و البحر مُترعا

أيا قبرَ معن كيف و اريتَ جودَه

٦. و التحسر و التوجع، كقوله تعالى: (يا ليتني كنت تراباً). [النبأ: ٤٠]

٧. و التذکر، كقوله:

هل الأزمن اللاتي مَضين رواجع

أيا منزلي سَلَمي سَلامٌ عليكما

٨. و التحيرُ و التضجُّر، نحو قول الشاعر:

من أجل هذا بكيناها بكيناك

أيا منازلَ سَلَمي أينَ سَلماك

و يكثرُ هذا في نداء الأطلال و المطايا، و نحوها.

تمارين

١. بين المعاني المستفادة من صيغ التمني و الترجي فيما يأتي:

- قال تعالى: (فهل إلى خروج من سبيل). [غافر: ١١]

- قال تعالى: (هل إلى مرد من سبيل). [الشورى: ٤٤]

- قال تعالى: (يا همام ابن لي صرحاً لعلّي أبلغ الأسباب). [غافر: ٣٦]

- قال تعالى: (و يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً). [النبأ: ٤٠]

- فليت الليل فيه كان شهراً و مرّ نهاره مرّ السحاب

- كل من في الكون يشكو دهره ليت شعري هذه الدنيا لمن

٢. بين المعاني الحقيقية المستفادة من صيغ النداء و المعاني المستفادة من القرائن:

- صاح شمّر و لاتزل ذاكر المو ات فنسيانه ضلال مبین

- أيها القلب قد قضيت مراماً فإلام الولوع بالشهوات

- حجبوه عن الرياح لأنني قلت يا ريح بلغيه السلاما

- يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام و أنت الخصم و الحكم

- صادح الشرق قد سكت طويلاً و عزيز علينا ألا تقولا

- فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه

الباب الثالث

في أحوال المسند إليه

المسند إليه: هو المبتدأ الذي له خبر و الفاعل و نائبه و أسماء النواسخ. و أحواله هي الذكر و الحذف و التعريف و التنكير و التقديم و التأخير و غيرها، و في هذا الباب عدّة مباحث.

المبحث الأول في ذكر المسند إليه

كُلُّ لفظ يدلُّ على معنى في الكلام خَلِيقٌ طبعاً بالذكر؛ لتأدية المعنى المراد به، فلهذا يُذكر المسند إليه وجوباً، حيث إن ذكره هو الأصل، و لا مقتضي للحذف، لعدم قرينة تدلُّ عليه عند حذفه، و إلا كان الكلام مُعمّى مُبهماً لا يستبين المراد منه.

و قد يترجّح الذكر مع وجود قرينة تمكّن من الحذف، حين لا يكون منه مانع، فمن مُرَجّحات الذكر:

١. زيادة التقرير و الإيضاح للسامع؛ كقوله تعالى: «أولئك على هدىً من ربهم و أولئك هم المفلحون» [البقرة: ٥]، و كقول الشاعر:

هو الشمس في العُليا هو الدّهر في السّطا هو البدرُ في النّادي هو البحر في النّدى

٢. التلذذ، نحو: الله ربي، الله حسبي، الله رازقي

٣. التسجيل على السامع حتى لا يتأتّى له الإنكار، كما إذا قال الحاكم للشاهد: هل أقرّ زيدٌ هذا بأنّ عليه كذا؟ فيقول الشاهد: نعم زيدٌ هذا أقرّ بأنّ عليه كذا.

٤. التعجّب، إذا كان الحكم غريباً، نحو: عليٌّ يقاوم الأسد في جواب من قال: هل عليٌّ يقاوم الأسد؟

٥. التعظيم، نحو: حضر أمير المؤمنين في جواب من قال: هل حضر عليٌّ؟

٦. الإهانة، نحو، السارق قادمٌ في جواب من قال: هل حضر السارق؟

المبحث الثاني

في حذف المُسندِ إليه

المُسندِ إليه أحدُ رُكني الجملة، بل هو الركن الأعظم؛ لأنَّه عبارة عن الذات، و المُسند كالوصف له و الذات أقوى في الثبوت من الوصف، و حذف المُسندِ إليه يتوقف على أمرين: أحدهما وجود ما يدلُّ عليه عند حذفه من قرينة و الأمر الآخر وجود المرجح للحذف على الذكر.

و من دواعي حذف المُسندِ إليه إذا دلَّت عليه قرينة:

١. ظهوره بدلالة القرائن عليه، نحو: «فصكَّت وجهها و قالت عَجوزٌ عقيمٌ» [الذاريات: ٢٩] أي: أنا عَجوزٌ.

٢. إخفاء الأمر عن غير المخاطب، نحو: أقبل، تريد علياً مثلاً.

٣. تيسر الإنكار إن مسَّت الحاجة، نحو: «لئيمٌ خسيسٌ» بعد ذكر شخصٍ، لا تذكر اسمه ليتأتى لك عند الحاجة أن تقول: ما أردتُه و لا قصدتُه.

٤. إختبار تنبُّه السامع له عند القرينة، أو مقدار تنبُّه، نحو: نورُه مستفادٌ من نور الشمس، أي: القمر.

٥. المحافظة على السجع، نحو: من طابت سريرته، مُجِدَّت سيرته.

٦. المحافظة على قافية، كقوله:

و ما المألُ و الأهلونَ إلا ودائعُ و لا بُدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

٧. المحافظة على وزن، كقوله:

على أنني راضٍ بأن أحملَ الهوى و أخلص منه لا عَليَّ و لا ليا

أي: لا عليَّ شيء و لا لي شيء، فقد حُذفت «شيءٌ» الأولى محافظةً على الوزن، و الثانية محافظةً على القافية.

٨. كون المُسندِ إليه مُعيَّناً معلوماً حقيقة، نحو: «عالم الغيب و الشهادة» [الأنعام: ٧٣] أي: الله، أو معلوماً ادِّعاءً، نحو: وهَّابُ الألوْف، أي: فلانٌ.

٩. إتباع الإستعمال الوارد على تركه، نحو: قولهم في المثل: رميةٌ من غير رامٍ، أي: هذه رمية. و نحو: نعم الزعيم عليٌّ، أي: هو عليٌّ.

و مرجع ذلك إلى الذوق الأدبي، فهو الذي يُوحى إليك بما في القول من بلاغة و حُسن بيان.

١. هذا قول الحَكَم بن يَغوثَ المنقرى المعروف بأنه أرْمى أهل زمانه و ذلك عندما رمى صيداً مراراً فأخطأه ثم رماه ابنُه (مطعم) فأصابه و هو لا يُجيد الرَّمى.

المبحث الثالث

في تعريف المسند إليه

حقّ المسند إليه، أن يكون معرفة؛ لأنه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوماً، ليكون الحكم مفيداً. و تعريفه إما بالإضمار، وإما بالعلميّة، وإما بالإشارة، وإما بالوصوليّة، وإما بأل، وإما بالإضافة.

في تعريف المسند إليه بالإشارة

يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة؛ إذا تعيّن طريقاً لإحضار المشار إليه في ذهن السّامع، بأن يكون حاضراً محسوساً، ولا يعرف المتكلم والسامع اسمه الخاص، ولا مُعيّناً آخر، كقولك: أتبيع لي هذا؟ مُشيراً إلى شيء لا تعرف له اسماً ولا وصفاً. أمّا إذا لم يتعيّن طريقاً لذلك، فيكون لأغراض أخرى:

١. تعظيم درجته بالقرب، نحو: «إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم» [الإسراء: ٩]، أو تعظيم درجته بالبُعد، كقوله تعالى: «ذلك الكتاب لا ريبَ فيه». [البقرة: ٢]

٢. أو التحقير بالقرب، نحو: «هل هذا إلا بشرٌ مثلكم» [الانبياء: ٣]، أو التحقير بالبُعد، كقوله تعالى: «فذلك الّذي يدعُ اليتيم». [الماعون: ٢]

٣. وإظهار الإستغراب، كقول ابن الراوندي:

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيتَ مذاهبه و جاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقاً
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصيرّ العالم النّحرير زنديقاً

٤. و كمال العناية و تمييزه أكمل تمييز، كقول الفرزدق يمدح الإمام زين العابدين عليه السلام:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته و البيت يعرفه و الحِلَّ و الحرَّم
هذا ابنُ خير عباد الله كلهم هذا التقى النقي الطاهر العَلَمُ
هذا ابنُ فاطمة إن كنت جاهله بجدّه أنبياء الله قد ختموا
و ليس قولك من هذا بضائره العُربُ تعرف من أنكرت و العجم

٥. و التنبيه على أن المشار إليه المعقَّب بأوصاف، جديرٌ لأجل تلك الأوصاف بما يُذكر بعد اسم الإشارة، كقوله تعالى: «أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفلحون». [البقرة:٥]

في تعريف المسند إليه بالموصولة

يؤتى بالمسند إليه اسم موصول إذا تعيّن طريقاً لإحضار معناه، كقولك: الذي كان معنا أمس سافر، إذا لم تكن تعرف اسمه. أمّا إذا لم يتعيّن طريقاً لذلك، فيكون لأغراضٍ أخرى، منها:

١. التشويق، و ذلك فيما إذا كان مضمون الصلة حكماً غريباً، كقوله:

و الذي حارت البرية فيه حيوانٌ مُستحدتٌ من جماد

٢. إخفاء الأمر عن غير المخاطب، نحو: ما أمرتُ امتثلتُ.

٣. التنبيه على خطأ المخاطب، نحو: «إن الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم» [الأعراف:١٩٤]، و كقول شاعرٍ يعظ أبناءه:

١. قد جاء في التاريخ: أنّه لما حجَّ هشام بن عبد الملك في أيام أبيه طاف بالبيت و جهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه فلم يقدر لزدحام الحجيج، فجلس على كرسى نُصب له ينظر الناس و معه جماعة من أهل الشام، و بينما هو كذلك إذ أقبل على زين العابدين (ع) فطاف بالبيت، و لما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم، فسأل رجلاً من أهل الشام هشام بن عبد الملك: من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، و كان الفرزدق حاضراً، فقال: أنا أعرفه، ثم أنشد هذه الأبيات.

إِنَّ الَّذِينَ تُرَوِّفُهُمْ إِخْوَانَكُمْ يشفي غليل صدورهم أن تُضَرَّعُوا^١

٤. التنبيه على خطأ غير المخاطب كقوله:

إِنَّ التِّي زَعَمْتَ فَوَإِذْكَ مَلَّهَا خُلِقْتَ هَوَاكُ كَمَا خُلِقْتَ هَوَىُّهَا

٥. تعظيم شأن المحكوم به كقول الشاعر:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ^٢

٦. التهويل، تعظيماً أو تحقيراً، نحو: «فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ»^٣ [طه: ٤٨]، و نحو: من لم يدِرِ حقيقة الحال قال ما قال، أي: الجاهل بالشيء يقول في شأنه ما يعترض عليه.

٧. الإشارة إلى الوجه الذي يُبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب، كقوله تعالى: «فالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» [الحج: ٥٠] و كقوله: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ». [التغابن: ١٠]

٨. التوبيخ، نحو: الذي أحسن إليك قد أسأت إليه.

٩. الإستغراق، نحو: الَّذِينَ يَأْتُونَكَ أَكْرَمَهُمْ.

١٠. الإبهام، نحو: لِكُلِّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ.

في تعريف المسند إليه بالإضافة

يؤتى بالمسند إليه معرفاً بالإضافة إلى شيء من المعارف السابقة لأغراض كثيرة:

١. منها أنها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع، نحو: جاء غلامي، فإنه أخصر- من قولك: جاء الغلام الذي لي.

٢. و منها تعدُّر التعدد أو تعسُّره، نحو: أجمع أهل الحقِّ على كذا، و أهل إيران كراماً.

١. أى من تظنون إخوتكم يحبون دماركم فأنتم مخطئون في هذا الظن، و لا يفهم هذا المعنى لوقيل: (إن قوم كذا يشفي إلخ).

٢. أى إن من سمك السماء بنا لنا بيتاً من العزِّ و الشرف، هو أعزُّ و أقوى من دعائم كل بيت.

٣. أى غطَّاهم و سترهم من البحر موج عظيم، لا تحيط العبارة بوصفه.

٣. و منها الخروج من تَبعة تقديم البعض على البعض، نحو: حضر أمراء الجند.

٤. و منها التعظيم للمضاف، نحو: «إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطان» [الحجر: ٤٢]، و نحو: كاتبُ السلطان حضر.

٥. و منها التحقير للمضاف، نحو: ولدُ اللُّصِّ قادمٌ.

٦. و منها الإختصار لضيق المقام، لفرط الضجر و السامة، كقول جعفر بن عُلبة و هو في السجن بمكة:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيْبٌ وَ جُشْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقٌ^١

١. أى من أهواه و أحبّه ذاهب مع رُكبان الإبل، القاصدين إلى اليمن منضمّ إليهم، مَقُود معهم، و جسمى مقيّد بمكة محبوس و ممنوع عن السير معهم، فلفظ هَوَاى أَخَصَرَ مِنَ الَّذِي أَهْوَاهُ وَ نَحْوَهُ.

المبحث الرابع

في تنكير المسند إليه

يؤتى بالمسند إليه نكرة، لعدم علم المتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقةً أو إدعاءً، كقولك: جاء رجلٌ يسأل عنك، إذا لم تعرف ما يُعيّنه من علم أو صلة أو نحوهما، وقد يكون لأغراضٍ أخرى:

١. كالتكثير، نحو: «وإن يكذبوك فقد كُذِّبَ رسلٌ من قبلك» [فاطر: ٤] أي: رسلٌ كثيرون.

٢. والتقليل، نحو: «لو كان لنا من الأمر شيءٌ ما قُتِلنا ههنا» [أل عمران: ١٥٤] ونحو: «ورضوانٌ من الله أكبر».

[التوبة: ٧٢]

٣. والتعظيم، كقوله تعالى: «و لكم في القصاص حياة» [البقرة: ١٧٩] أي: أنه أعظم من أن يعرف ويعين.

٤. والتحقير، كقوله تعالى: «ولئن مسَّتهم نفةً من عذاب ربك ليقولنَّ يا ويلنا». [الأنبياء: ٤٦]

وقد اجتمع التعظيم والتحقير في قول ابن أبي الصلت:

له حاجبٌ عن كل أمرٍ يشينه
وليس له عن طالب العرف حاجبٌ

أي: له مانع عظيمٌ وكثير عن كل عيب و ليس له مانع قليل أو حقير عن طالب الإحسان، فيحتمل التعظيم والتكثير والتقليل والتحقير. ويحتمل أيضاً التكثير والتقليل في قوله تعالى: «إني أخاف أن يمَسَّك عذابٌ من

الرَّحْمَنِ». [مريم: ٤٥]

٥. وإخفاء الأمر، نحو: قال رجل: إنك انحرفتَ عن الصواب، تُخفي اسمه حتى لا يلحقه أذى.

٦. وقصد الإفراد، نحو: ويلٌ أهونٌ من ويلين، أي: ويلٌ واحدٌ أهون من ويلين.

٧. وقصد النوعية، كما في قول الشاعر:

لكلِّ داءٍ دواءٌ يُستطبُّ به
إلا الحماقَةَ أعيتْ مَنْ يُداويها

أي: لكلِّ داءٍ نوعٌ من الدواء.

المبحث الخامس

في تقديم المسند إليه

مرتبة المسند إليه التقديم، وذلك لأن مدلوله هو الذي يخطر أولاً في الذهن، لأنه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً، فاستحق التقديم وضعاً، ولتقديمه دواعٍ شتى:

١. تعجيل المسرة، نحو: العفو عنك صدر به الأمر.

٢. تعجيل المساءة، نحو: القصاصُ حكم به القاضي.

٣. التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعراً بغرابة، كقول أبي العلاء المعري:

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَّوَانٌ مُسْتَحَدُّثٌ مِنْ جَمَادٍ

٤. التلذذ، نحو: الله خير مُعِينٍ.

٥. النصّ على عموم السلب، أو النصّ على سلب العموم.

فعموم السلب، يكون بتقديم أداة العموم 'ككُلّ' وجميع على أداة النفي، نحو: كلّ ظالمٍ لا يُفْلِحُ، أي: لا يُفْلِحُ أحدٌ من الظّلمة، وجميع العقلاء لا يَسْعَوْنَ في الشرِّ، ويسمّي شمول النفي.

و سلب العموم، يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم، نحو: لم يكن كلّ ذلك، أي: لم يقع المجموع، فيحتمل ثبوت البعض و يحتمل نفي كل فرد، لأن النفي يوجّه إلى الشمول خاصّة، دون أصل الفعل، ويسمّي نفي الشمول.

و اعلم، أنّ سلب العموم يكون النفي فيه للمجموع غالباً، كقول أبي العتاهية:

مَا كُلُّ رَأْيٍ الْفَتَى يَدْعُو إِلَى رَشْدٍ إِذَا بَدَأَ لَكَ رَأْيٌ مُشْكَلٌ فَكَيْفِ

و قد جاء لعموم النفي قليلاً، نحو قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» [لقمان: ١٨]. و دليل ذلك، الذوق والإستعمال.

١. بشرط أن تكون أداة العموم غير معمولة للفعل الواقع بعدها كما مثل، فإن كانت معمولة للفعل بعدها؛ سواء تقدّمت لفظاً أو تأخرت، نحو: كلُّ ذنبٍ لم أصنع، و لم آخذ كلِّ الدراهم، أفاد الكلام سلب العموم و نفي الشمول غالباً.

المبحث السادس

في تأخير المسند إليه

يؤخر المسند إليه، إن اقتضى المقام تقديم المسند، كما سيجيء.

تمرين

بين أسباب ذكر المسند إليه و حذفه في الأمثلة الآتية:

١- قال رسول الله (ص): أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أي من قريش و استرضعت من بني سعد بن بكر.

- أنت الذي أعانني، و أنت الذي سرّني.

- أمير المؤمنين (ع) يوصي بالزهد في الدنيا.

- عالم الغيب و الشهادة فتعالى الله عما يُشركون. [المؤمنون: ٩٢]

- و أنا لاندري أشرُّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربُّهم رشداً. [الجن: ١٠]

- قُتِلَ الحسين عطشاناً بكر بلاء.

- حريصٌ على الدنيا مُضِيعٌ لدينه و ليس لما في بيته بمُضِيع

- خَلَقَ الإنسان من عَلَقٍ. [العلق: ٢]

الدرس الثالث عشر

الباب الرابع

في المسند و أحواله

المسند، هو الخبر و الفعل التامّ و اسم الفعل و المبتدأ الوصف المستغني بمرفوعه عن الخبر و أخبار النواسخ، و المصدر النائب عن الفعل. و أحواله، هي الذكر، و الحذف و التعريف و التنكير و التقديم و غيرها و في هذا الباب ثلاثة مباحث.

المبحث الأول

في ذكر المسند أو حذفه

يُذكر المسند للأغراض التي سبقت في ذكر المسند إليه، و ذلك:

١. ككون ذكره هو الأصل، و لا مقتضي للعدول عنه، نحو: العلم خيرٌ من المال.
٢. و كضعف التّعويل على دلالة القرينة، نحو: حالي مستقيم و رزقي ميسور، إذ لو حُذف «ميسور» لا يدلُّ عليه المذكور.

٣. و كالردّ على المخاطب، نحو: «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ» [يس: ٧٩] جواباً لقوله تعالى: «مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ». [يس: ٧٨]

و يُحذف المسند لأغراضٍ كثيرة، منها:

٤. إذا دلّت عليه قرينة و تعلّق بتركه غرض، نحو قوله تعالى: «و لئن سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» [لقمان: ٢٥] أي: خلقهنَّ الله.

٥. الإحتراز عن العبث، نحو: «إن الله بريءٌ من المشركين و رسوله» [التوبة: ٣]، أي: و رسوله بريءٌ منهم أيضاً. فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثاً لعدم الحاجة إليه.

٦. ضيق المقام عن إطالة الكلام، كقول الشاعر:

نحن بما عندنا و أنت بما عنـ سـك راضٍ و الرأى مختلفٌ

أى: نحن بما عندنا راضون، فحذف لضيق المقام.

٤. إتباع و مجارة ما جاء فى استعمالهم الواردة عن العرب، نحو: «لولا أنتم لكننا مؤمنين» [سبأ: ٣١] أى: لولا أنتم موجودون.

المبحث الثانى

فى تعريف المسند أو تنكيره

تعريف المسند: يؤتى بالمسند معرفاً لأغراضٍ، منها:

١. لإفادة السامع حكماً على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله، بإحدى طرق التعريف، نحو: هذا الخطيبُ، و ذلك أمير الجُند.

٢. لإفادة قصره على المسند إليه حقيقةً، نحو: «عليُّ الإمام» إذا لم يكن إمام سواه، أو ادعاءً مبالغةً؛ لكمال معناه فى المسند إليه، نحو: عليُّ العادل، أى: الكامل فى العدالة، فيخرج الكلام فى صورة تُوهم أن العدالة لم توجد إلا فيه، لعدم الإعتداد بعدالة غيره، و ذلك إذا كان المسند معرفاً بلام الجنس.

و يُنكر المسند: لأغراضٍ، منها:

١. لعدم الموجب لتعريفه و ذلك لعدم إرادة العهد أو الحصر، نحو: أنت أمير و هو وزيرٌ.

٢. لإفادة التفخيم، نحو: «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين». [البقرة: ٢]

٣. و لقصد التحقير، نحو قوله تعالى: «و ما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاعٌ» [الرعد: ٢٦]، و نحو: ما خالدٌ رجلاً يُذكر.

المبحث الثالث

في تقديم المسند أو تأخيره

يُقَدِّمُ المسند إذا وجد باعث على تقديمه، كأن يكون عاملاً، نحو: قام عليٌّ، أو ممّا له الصدارة في الكلام، نحو: أين الطريق؟ أو إذا أريد به غرض من الأغراض الآتية، منها:

١. قصر المسند إليه على المسند، نحو: «الله ملك السموات والأرض» [المائدة: ١٢٠]، ونحو: «لكم دينكم وليّ دين» [الكافرون: ٦] أي: دينكم مقصودٌ عليكم وديني مقصودٌ عليّ.

٢. والتنبيه من أوّل الأمر على أنه خبر لا نعت، كقول الفرزدق في وصف النبي (ص):

له هِمَمٌ لا منتهى لكبارها و همته الصغرى أجلّ من الدهر

له راحةٌ لو أن معشار جودها على البرّ كان البرّ أندى من البحر

فلو قيل: هِمَمٌ له، لتوهم ابتداء كون «له» صفة لما قبله.

٣. والتشويق للمتأخّر، إذا كان في المتقدّم ما يشوق لذكره، كتقديم المسند في قوله تعالى: «إنّ في خلق السموات و

الأرض و اختلاف الليل و النهار لآياتٍ لأولي الألباب» [آل عمران: ١٩٠]، و كقوله:

خيرُ الصنایع في الأنام صنیعةٌ تنبو بحاملها عن الإذلال

٤. و التفاؤل، كما تقول للمريض: في عافية أنت، و كقوله:

سَعَدتْ بَغْرَةٌ و جهك الأيامُ و تزيّنت بلقائك الأعوامُ

٥. و المساءة نكايَةً بالمخاطب، كقول المتنبي:

و من نكّد الدّنيا على الحُرّ أن يرى عدوّاً له ما من صداقته بُدُّ

٦. و تعجيل المسرّة للمخاطب، كقولك لتلميذك: ناجحٌ أنت، و نحو: و مباركٌ وصولك بالسلامة.

٧. و التعظيم، أو المدح، أو الذم، أو الترحم أو الدعاء، نحو: عظيم أنت يا الله، نعم القائد عليّ، بس الجليس الكاذب، فقير أبوك، عافاك الله.

و يؤخر المسند؛ لأن تأخيره هو الأصل، و تقديم المسند إليه أهم، نحو: الإسلام ديني.

تمارين

١. عيّن أسباب الحذف المسند و نوع المحذوف في الأمثلة الآتية:

- «و طعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لهم و طعامكم حلّ لهم، و المحصنات من المؤمنات و المحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم». [المائدة:٥]

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقر و الإقدام قتال
و ليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت و العجم

٢. عيّن أسباب تقديم المسند أو تأخيره:

- فيه رجال يُحبون أن يتطهروا. [التوبة:١٠٨]

- و عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو. [الأنعام:٥٩]

- قال النبي (ص): منهومان لا يشبعان: طالب علم و طالب مال.

- قال النبي (ص): إثنان ما دخلا البدن إلا و أصلحا: الرمان و الماء الفاتر.

- في أمان الله أنت.

- ثلاثة أحسنها عتيق الخلّ و الحمام و الصديق

- ثلاثة ليس لها اشتراك المشط و المنديل و السواك

- نجحت مساعيك و خابت مساعي العدو.

الباب الخامس

في أحوال متعلقات الفعل

متعلقات الفعل كثيرة، منها: المفعول، والحال، والظرف، والجار والمجرور، وهذه المتعلقات أقل في الأهمية من

ركني الجملة ومع ذلك فقد تتقدم عليها أو على أحدهما؛

يتقدم كل من الحال والظرف والجار والمجرور لأغراض كثيرة، منها:

١. تخصيصها بالفعل، نحو: مُرْتاحاً عُدْتُ، تحت الشجرة جلستُ، على الله فليتوكلّ.

٢. التحذير، نحو: متسللاً أُدْخِلُ.

٣. المدح والتكريم، نحو: عظيماً رأيناك.

٤. الذم والتحقير، نحو: بخيلاً عرفناه.

٥. الإنكار، نحو: أمدعوراً تقابل عدوك؟

□ والأصل في المفعول أن يُؤخّر عن الفعل، ولا يقدم عليه إلا لأغراض كثيرة، منها:

١. تخصيصها بالفعل، نحو: إياك نعبُدُ. [الفاتحة: ٥]

٢. رعاية الفاصلة أو الوزن، نحو: خذوه فغلوهُ، ثمّ الجحيم صلّوه. [الحاقة: ٣٠-٣١]

٣. إليك قلوب جميع الأنام تحنّ وأعناقها تعنق

٤. الإهتمام بالمفعول، نحو: قصيدتك حفظتُ.

٥. كونه موضع الإنكار، نحو: قول الإمام زين العابدين (ع) في الدعاء: أتراك بعد الإيمان بك تعذبني؟ أم بعد

حبي إياك تبعدني؟ أم بعد رجائي لرحمتك و صفحك تحرمني؟^١

١. الصحيفة السجادية، مناجاة الخمسة عشر.

□ والأصل في العامل أن يقدّم على المفعول، كما أن الأصل في المفعول أن تقدّم عمده على فضله، فيحفظ هذا الأصل بين الفعل والفاعل.

أما بين الفاعل والمفعول ونحوه، كالظرف والجاء والمجرور فيختلف الترتيب للأسباب الآتية:

أ. إما لأمرٍ معنوي، نحو: «و جاء من أقصى المدينة رجلٌ يسعى» [يس: ٢٠] فلو أخرّ المجرور لُتُوهم أنه من صلة الفاعل وهو خلاف الواقع؛ لأنه صلةٌ لفعله.

ب. وإما لأمرٍ لفظي، نحو: «و لقد جاءهم من ربهم الهدى». [النجم: ٢٣]

فلو قدّم الفاعل لاختلقت الفواصل، لأنها مبنية على الألف.

ج. وإما للأهميّة، نحو: قتل الخارجي فلانٌ.

□ وأما تقديم الفضلات على بعضٍ فقد يكون؛

١. للأصالة في التقدّم لفظاً، نحو: حسبتُ الهلال طالعاً. فإن الهلال ولو كان مفعول في الحال، لكنّه مبتدأ في الأصل. أو للأصالة في التقدّم معنى و ذلك كالمفعول الأول في نحو: أعطى الأمير الوزير جائزةً، فإن الوزير وإن كان مفعولاً بالنسبة إلى الأمير، لكنه فاعل في المعنى بالنسبة إلى الجائزة.

٢. أو لإخلالٍ في تأخيره، نحو: مررتُ ركباً بفلان، فلو أخرت الحال لتوهم أنها حال من المجرور، وهو خلاف الواقع، فإنها حال من الفاعل.

□ والأصل في المفعول أن يذكر وقد يحذف لأغراضٍ:

١. منها: التعميم باختصار كقوله تعالى: «و الله يدعو إلى دار السلام» [يونس: ٢٥] أي: جميع عباده؛ لأن حذف المفعول يؤذن بالعموم، ولو ذكر لفات غرض الاختصار المناسب لمقتضى الحال.

٢. ومنها: الإعتماد على تقدّم ذكره كقوله تعالى: «يمحو الله ما يشاء ويثبت» [الرعد: ٣٩] أي: ويثبت ما يشاء.

٣. ومنها: طلب الاختصار، نحو: «يغفر لمن يشاء» [الفتح: ١٤] أي: يغفر الذنوب.

٤. ومنها: المحافظة على سجع، أو وزن.

فالأول كقوله تعالى: «سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى» [الأعلى: ١٠] إذ لو قيل: يخشى الله، لم يكن علي سنن رؤوس الآي السابقة.

و الثاني كقول المتنبي:

بناها فاعلى و القنا يقرع القنا و موج المنايا حولها متلاطم

أي: فأعلاها.

٥. و منها: تعيّن المفعول، نحو: رعتِ الماشيةُ. أي: نباتاً.

٦. و منها: تنزيل المتعدي منزلة اللازم؛ لعدم تعلّق الغرض بالمعمول، بل يجعل المفعول منسياً، بحيث لا يكون ملحوظاً مقدراً، كما لا يلاحظ تعلّق الفعل به أصلاً، كقوله تعالى: «هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون». [الزمر: ٩]

٧. إثبات الفعل للفاعل، مثل: الله يُحيي و يُميت.

٨. إثارة الإنتباه إلى المحذوف، نحو: قال رسول الله (ص): «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أْبَى».

الباب السادس

في القصر

القصر لغةً الحبس، قال الله تعالى: «حورٌ مقصوراتٌ في الخيام». [الرحمن: ٧٢] و اصطلاحاً: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. و الشيء الأول هو المقصور و الشيء الثاني هو المقصور عليه و الطريق المخصوص لذلك التخصيص يكون بالطرق و الأدوات الآتية، نحو: ما شوقيُّ إلا شاعر؛ فمعناه تخصيص شوقي بالشعر و قصره عليه، و نفي صفة الكتابة عنه ردّاً على من ظنّ أنّه شاعر و كاتب. و الذي دلّ على هذا التخصيص هو النفي بكلمة «ما» المتقدّمة و الإستثناء بكلمة «إلا» التي قبل الخبر. فما قبل إلا و هو «شوقي» يسمّى مقصوراً، و ما بعدها و هو شاعر يسمّى مقصوراً عليه، و ما و إلا، طريق القصر و أدواته. و لو قلت: «شوقيُّ شاعر» بدون نفي و استثناء ما فهم هذا التخصيص، و لهذا يكون لكل قصر طرفان: مقصور و مقصور عليه و يعرف المقصور بأنّه هو الذي يؤلّف مع المقصور عليه الجملة الأصليّة في الكلام. و في هذا الباب أربعة مباحث.

المبحث الأول

في طرق القصر

للقصر طرق كثيرة، و أشهرها في الإستعمال أربعة و هي:

أولاً: يكون القصر بالنفي و الإستثناء، نحو: «و ما توفيقِي إلا بالله». [هود: ٨٨]

ثانياً: يكون القصر بإنها، نحو: «إنّما يخشى الله من عباده العلماء». [فاطر: ٢٨]

ثالثاً: يكون القصر بالعطف بلا و بل ولكن، نحو: العزّة بالقناعة لا بكثرة المال، ما الفخر بالمال بل بالعلم، ما المرء بثيابه لكن بأدابه.

رابعاً: يكون القصر بتقديم ما حقّه التأخير، نحو: «إيّاك نعبد و إيّاك نستعين» [الفاتحة: ٥] أي: نُخصّك بالعبادة و الإستعانة و «عليه توكلتُ و إليه أنيبُ». [الشورى: ١٠]

تنبية

- المقصور عليه في النفي و الإستثناء هو المذكور بعد أداة الإستثناء، نحو: لا يعلم الغيب إلا الله.
- و المقصور عليه مع إنّها، هو المذكور بعدها و يكون مؤخّراً في الجملة و جوباً، نحو: إنّما الدنيا غرور.

- و المقصور عليه مع لا العاطفة: هو المذكور قبلها و المقابل لما بعدها، نحو: الفخر بالعلم لا بالمال، و المقصور عليه مع بل ولكن العاطفتين، هو المذكور بعدهما، نحو: ما الفخر بالمال بل بالعلم، و نحو: ما الفخر بالنسب لكن بالتقوى.

- و المقصور عليه في تقديم ما حقه التأخير هو المذكور المتقدّم، نحو قول الشاعر:
إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني أي الأرض تبقى و الأخلاء تذهب

المبحث الثاني

في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة و الواقع إلى قسمين

أ: قصر حقيقي: و هو أن يختصّ المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة و الواقع، بالأ يتعدّاه إلى غيره أصلاً، نحو: لا إله الا الله.

ب: و قصر إضافي: و هو أن يختصّ المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة و النسبة إلى شيء آخر معيّن، لا لجميع ماعدها، نحو: ليس المسافر إلا أنا.

نتائج القصر

قد يكون الغاية من القصر تمكين الكلام و تقريره في الذهن، كقول الشاعر:

و ما المرء إلا كالهلال و ضوءه يوافي تمام الشهر ثم يغيب

و قد يراد بالقصر المبالغة في المعنى، كقول الشاعر:

و ما المرء إلا الأصغر لسانه و معقوله و الجسم خلق مصوّر

و نحو:

لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا عليّ

و قد يكون من مرامي القصر التعريض، كقوله تعالى: «إنما يتذكر أولو الألباب» [الرعد: ١٩] إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها، ولكنها تعريض بالمشركين الذين في حكم من لا عقل له.

المبحث الثالث

في تقسيم القصر باعتبار طرفيه

ينقسم القصر باعتبار طرفيه المقصور و المقصور عليه، سواء أ كان القصر حقيقياً أو إضافياً إلى نوعين:

أ: قصرُ صفة على موصوف: هو أن تحبس الصفة على موصوفها و تختصّ به. مثاله من الحقيقي، لا رازق إلا الله و مثاله من الإضافي، نحو: لا شاعر إلا المتنبّي.

ب: قصرُ موصوف على صفة: هو أن يحبس الموصوف على الصفة و يختصّ بها دون غيرها، مثاله من الحقيقي، إنما الله جامعُ جميع صفات الكمال، و مثاله من الإضافي قوله تعالى: «و ما محمدٌ إلا رسول». [آل عمران: ١٤٤] فقد قصر الله محمداً على صفة الرسالة و نفى عنه أن يظنّ في أمره الخلود، فلا يموت أو يقتل.

المبحث الرابع

في تقسيم القصر الإضافي

ينقسم بنوعيه السابقين على حسب حال المخاطب إلى:

أ: قصر أفراد: إذا اعتقد المخاطب الشركة، نحو: إنما الله إله واحد، ردّاً على من اعتقد أن الله ثالث ثلاثة.

ب: قصر قلب: إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تُثبتته، نحو: ما سافر إلا عليّ، ردّاً على من اعتقد أن المسافر محمّد لا عليّ؛ فقد قلبت و عكست عليه اعتقاده.

ج: قصر تعيين: إذا كان المخاطب يتردّد في الحكم، كما إذا كان متردداً في كون الأرض متحرّكة أو ثابتة، فتقول له: الأرض متحرّكة لا ثابتة، ردّاً على من شكّ و تردّد في ذلك الحكم.

تمرين

وضّح فيما يأتي نوع القصر و طريقه

- قوله تعالى: و ما هذه الحياة الدنيا إلا لهو و لعب. ^١ [العنكبوت: ٦٤]
- قوله تعالى: إنما أموالكم و أولادكم فتنة. [التغابن: ١٥]
- قوله تعالى: ألا إلى الله تصير الأمور. [الزخرف: ٥٣]
- قوله تعالى: بل الله فاعبد و كن من الشاكرين. [الزمر: ٦٦]
- قوله تعالى: إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت و ما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت و إليه أنيب. [هود: ٨٨]
- قال رسول الله (ص): إنما العلم بالتعلم و إنما الحلم بالتحلم.
- قال رسول الله (ص): الحياء لا يأتي إلا بخير - بخفض الجناح تنتظم الأمور - بالسَّخاء تزان الأفعال.
- قال علي (ع): إنما الدنيا شركٌ وقع فيه من لا يعرفه - بنا اهتديتم في الظلماء. [نهج البلاغة: خطبه ٤]
- قال الباقر (ع): لا تنال و لا يتنا إلا بالعمل و الورع.
- قال الصادق (ع): لا تأمن إلا من خاف الله.
- ليس الجمال بأثواب يزيئها بل الجمال جمال العلم و الأدب
- بالعلم و المال يبني الناس ملكهم لم يُبن ملك على جهل و إقلال
- إنما بركة المال في أداء الزكاة.
- صداقة الجاهل تعبٌ لراحة.
- عن السفية سكت.
- بالأقلام تُساس الأقاليم.
- برؤية الإخوان يدوم السرور.
- عند الإمتحان يكرم المرء أو يهان.
- ما وضع الإحسان في غير موضعه عدلاً بل ظلم.

١. نجدُ في سورة محمد (ص) القصر بصورة أخرى: «إنما الحياة الدنيا لعبٌ و لهو» [محمد: ٣٦]. فهنا أمرٌ لا يجهله المخاطبون، و لا ينكرونه، فسورة محمد سورة مدنيّة، و المخاطب بها المؤمنون. و أمّا الآية الأولى، فإنّ المخاطبين غير المؤمنين بدليل السياق. أساليب المعاني في القرآن، ص ١٦٩.

الباب السابع

في الوصل و الفصل

الوصل: عطف جملة على أخرى بالواو، و الفصل ترك هذا العطف بين الجملتين، و المجيء بها مشورة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى. فالجملة الثانية تأتي في الأساليب البليغة مفصولة أحياناً و موصولة أحياناً. فمن الفصل قوله تعالى: «و لا تستوى الحسنة و لا السيئة إُدفع بالتي هي أحسن». [فصلت: ٣٤] فجملة إُدفع مفصولة عما قبلها، و لو قيل: و ادفع بالتي هي أحسن، لما كان بليغاً. و من الوصل قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين». [التوبة: ١١٩] عطف جملة «و كونوا مع الصادقين» على ما قبلها، و لو قيل: اتقوا الله كونوا مع الصادقين، لما كان بليغاً. فكلُّ من الفصل و الوصل يجيء لأسباب بلاغية. و من هذا يعلم أن الوصل جمع و ربط بين جملتين بالواو، خاصّة لصلة بينهما في الصورة و المعنى أو لدفع اللبس. و الفصل: ترك الربط بين الجملتين، إمّا لأنّهما متحدثان صورة و معنى، أو بمنزلة المتحدثين، و إمّا لأنه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى.

بلاغة الوصل

بلاغة الوصل لا تتحقّق إلا بالواو العاطفة فقط، دون بقية حروف العطف؛ لأن الواو هي الأداة التي تخفى الحاجة إليه، و يحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم و دقّة في الإدراك؛ إذ لا تفيد إلا مجرد الربط و تشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، نحو: مضى وقت الكسل و جاء زمن العمل و قم واسع في الخير. بخلاف العطف بغير الواو فيفيد مع التشريك معاني أخرى، كالترتيب مع التعقيب في الفاء و كالترتيب مع التراخي في ثمّ، و هكذا باقي أدوات العطف التي إذا عطف بواحد منها ظهر الفائدة، و لا يقع اشتباه في استعماله. و شرط العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامع كالموافقة في نحو: يقرأ و يكتب، و كالمضادة في نحو: يضحك و يبكي و إنّما كانت المضادة في حكم الموافقة؛ لأنّ الذهن يتصوّر أحد الضدين عند تصور الآخر، فالعلم يخطر على البال عند ذكر الجهل، كما تخطر الكتابة عند ذكر القراءة. و في هذا الباب مبحثان:

المبحث الأول في مواضع الوصل

الوصل: عطف جملة على أخرى بالواو ويقع في ثلاثة مواضع:

الأول: إذا اتحدت الجملتان في الخبرية و الإنشائية لفظاً و معنى، أو معنى فقط و لم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما و كانت بينهما مناسبة تامة في المعنى. فمثال الخبريتين قوله تعالى: «إن الأبرار لفي نعيم و إن الفجار لفي جحيم». [الانفطار: ١٣] و مثال الإنشائيتين قوله تعالى: «فادع و استقم كما أمرت». [الشورى: ١٥] و قوله تعالى: «و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً»؛ [النساء: ٣٦] و صل جملة «و لا تشركوا» بجملة «و اعبدوا» لالتحادهما في الإنشاء، و لأن المطلوب بهما مما يجب على الإنسان أن يؤدّيه لخالقه و يختصّ به.

و مثال المختلفتين، قوله سبحانه: «إني أشهد الله و أشهدوا أنني بريء مما تشركون». [هود: ٥٤]

أي: إني أشهد الله و أشهدكم، فتكون الجملة الثانية في هذه الآية إنشائية لفظاً و لكنّها خبرية في المعنى، و لهذا و جب الوصل.

الثاني: دفع توهم غير المراد، و ذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية و الإنشائية و كان الفصل يوهم خلاف المقصود، كما تقول مجيباً لشخص بالنفي: «لا شفاه الله» لمن يسألك:

هل برئ خالد من المرض؟ فترك الواو يوهم السامع الدعاء عليه و هو خلاف المقصود؛ لأن الغرض الدعاء له^١ و لهذا و جب أيضا الوصل، و عطف الجملة الثانية الدعائية الإنشائية على الجملة الأولى الخبرية المصوّرة بلفظ لا لدفع الإيهام.

الثالث: إذا كان للجملة الأولى محلّ من الإعراب، و قصد تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع، نحو: «و الله يقبض و يبسط و إليه ترجعون». [بقره: ٢٤٥]

١. كما حكى أن صحابياً مرّ برجل في يده ثوب، فقال له: أتبيع هذا؟ قال: الرجل «لا يرحمك الله»، فقال الصحابي: لا تقل هكذا، بل قل: لا و يرحمك الله. و منه ما حكى أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيء، فقال: لا، و أيد الله أمير المؤمنين، فقال المأمون: ما أظرف هذه الواو و أحسن موقعها! المستظرف في كل فنّ مستظرف، للأبشيهي، ص ٥١.

المبحث الثاني

في مواضع الفصل

أحياناً تتقارب الجمل في معناها تقارباً تاماً، حتى تكون الجملة الثانية كأنها الجملة الأولى، وقد تنقطع الصلة بينهما؛ إما لاختلافهما في الصورة، كأن تكون إحدى الجملتين إنشائية والأخرى خبرية. وإما لتباعد معنهما بحيث لا يكون بين الجملتين مناسبة. وفي هذه الأحوال يجب الفصل في كل موضع من المواضع الخمسة الآتية وهي:

الموضع الأول: كمال الإتصال وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد تام كأن تكون الجملة الثانية بدلاً من الأولى، أو توكيداً أو بياناً لها، نحو: «و اتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعَيْونَ». [الشعراء: ١٣٢-١٣٤]

و نحو: «فمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أَمَهُلَهُمْ رَوِيداً». [الطارق: ١٧] و كقوله: «و من الناس من يقول آمناً بالله و باليوم الآخر و ما هم بمؤمنين يخادعون الله و الذين آمنوا». [البقرة: ٧ و ٨] و كقوله سبحانه: «فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد». [طه: ١٢٠] فجملة «قال يا آدم» بيان لما وسوس به الشيطان إليه. فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً يمنع عطف الشيء على نفسه و يوجب الفصل.

الموضع الثاني: كمال الإنقطاع و هو اختلاف الجملتين اختلافاً تاماً.

أ: بأن يختلفا خبراً و إنشاءً؛ لفظاً و معنىً، نحو قوله تعالى: «و أقسطوا إن الله يحبُّ المُقسطين» الجملة الأولى «أقسطوا» إنشائية لفظاً و معنىً و الجملة الثانية «إن الله يحبُّ المُقسطين» خبرية لفظاً و معنىً. أو معنىً فقط، نحو قوله تعالى: «خلق السموات و الأرض بالحق تعالى الله عما يشركون» [النحل: ٣] و كقول الشاعر:

جزى الله الشدائد كل خير عرفتُ بها عدوي من صديقي

ب: أو بالأ تكون بين الجملتين مناسبة في المعنى و لا ارتباط، بل كلُّ منهما مستقلٌّ بنفسه، كقول القائل: كفى بالشيب داءً صلاحُ الإنسان حفظ اللسان» فيين الجملتين تباين تام، إذ لا مناسبة بينهما في المعنى.

الموضع الثالث: شبه كمال الإتصال: و هو كون الجملة الثانية قويّة الإرتباط بالأولى، لوقوعها جواباً عن سؤال، كقوله سبحانه: «و ما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء». [يوسف: ٥٣] و كقول الشاعر:

لا تحقرن صغيراً في محاصمة إن البعوضة تُدمي مُقلّة الأسدِ

الموضع الرابع: شبه كمال الإنقطاع: و هو أن تسبق جملة بجملتين يصحّ عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فساد في المعنى فيترك العطف بالمرّة، دفعاً لتوهم أنه معطوف على الثانية، نحو:

و تظنّ سلمى أنّي أبغي بها بدلاً أراها في الضلال تهيم

فجملة «أراها» يصحّ عطفها على جملة تظنّ لكن يمنع من هذا توهم العطف على جملة «أبغي بها بدلاً» فتكون الجملة الثانية من مطنونات سلمى مع أنه غير المقصود و لهذا امتنع العطف بتاتاً و وجب أيضاً الفصل.

الموضع الخامس: التوسط بين الكمالين مع قيام المانع و هو كون الجملتين متناسبتين و بينهما رابطة قوية لكن يمنع من العطف مانع و هو عدم التشريك في الحكم، كقوله تعالى: «و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم». [البقره: ١٤ و ١٥]

فجملة «الله يستهزئ بهم» لا يصحّ عطفها على الجملة «إنا معكم»، لاقتضائه أنه من مقول المنافقين، و الحال أنه من مقوله تعالى دعاء عليهم، و لا على جملة «قالوا» لثلاث توهم مشاركته له في التقييد بالظرف، و أن استهزاء الله بهم مقيّد بحال خلوّهم إلى شياطينهم، و الواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غير مقيّد بحال من الأحوال و لهذا وجب أيضاً الفصل.

تمرين

عين أسباب الوصل و الفصل في الأمثلة الآتية:

- قال الله تعالى: ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم. [يوسف: ٣١]
- يدبر الأمر يفصل الآيات لقوم يعقلون. [الرعد: ٢-٤]
- قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم. [الحجر: ٥٣]
- و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيّ يوحى علمه شديد القوى. [النجم: ٣-٥]
- قالوا سلاماً قال سلام. [الذاريات: ٢٥]

- قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غير صالح. [هود: ٤٦]
- يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله و اتقوا الله إن الله سميع عليم. [الحجرات: ١]
- بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أئذا متنا و كُنَّا تراباً و عظاماً أئنا لمبعوثون. [المؤمنون: ٦٨ و ٦٩]
- و من يفعل ذلك يلق أثماً يضاعف له العذاب. [الفرقان: ٦٨ و ٦٩]
- و ابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم و لا تأكلوها إسرافاً و بداراً أن يكبروا. [النساء: ٦]
- أقول له ارحل لا تُقيمَنَّ عندنا و إلا فكن في السرّ- و الجهر مسلماً
- حكم المنيّة في البريّة جاري ما هذه الدنيا بدار قرار
- قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم و حزن طويل
- زعم العواذل أنني في غمرة صدقوا ولكن غمّرتي لا تنجلي
- أطعتُ الله أدّيتُ الصلاة.
- رأيتُه مبتسماً أظنّه نجح في الإمتحان.

الدرس التاسع عشر

الباب الثامن

في الإيجاز والإطناب والمساواة

كلّ ما يجول في الصدر من المعاني، و يخاطر ببالك معنى منها، لا يعدو التعبير عنه طريقاً من طرق ثلاث: أولاً: إذا جاء التعبير على قدر المعنى، بحيث يكون اللفظ مساوياً لأصل ذلك المعنى، فهذا هو «المساواة» وهي الأصل الذي يكون أكثر الكلام على صورته، و الدستور الذي يقاس عليه. ثانياً: إذا زاد التعبير على قدر المعنى لفائدة، فذلك هو «الإطناب» فإن لم تكن الزيادة لفائدة فهي حشو أو تطويل. ثالثاً: إذا نقص التعبير على قدر المعنى الكثير، فذلك هو «الإيجاز». فكل ما يخاطر بال المتكلم من المعاني فله في التعبير عنه بإحدى هذه الطرق الثلاث، فتارة يوجز و تارة يُسهب و تارة يأتي بالعبارة بين بين. و لا يُعدّ الكلام في صورة من هذه الصور بليغاً إلا إذا كان مطابقاً لمقتضى- حال المخاطب، و يدعوا إليه مواطن الخطاب؛ فإذا كان المقام للإطناب مثلاً و عدلت عنه إلى الإيجاز أو المساواة لم يكن كلامك بليغاً. و في هذا الباب ثلاثة مباحث.

المبحث الأول

في الإيجاز و أقسامه

الإيجاز: هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقلّ منها، وافيةً بالعرض المقصود، مع الإبانة و الإفصاح، كقوله تعالى: «خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين». [الأعراف: ١٩٩] فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها و كقول النبي (ص): «الضعيف أمير الركب». فإذا لم تفِ العبارة بالعرض سُمّي إخلالاً و حذفاً رديئاً، كقول الشاعر:

و العيش خيرٌ في ضلّال ل النُّوك ممّن عاش كدّاً

مراده أن العيش الناعم الرغد في حال الحُمق و الجهل خير، من العيش الشاقّ في حال العقل، لكن كلامه لا يُعدّ صحيحاً مقبولاً.

و ينقسم الإيجاز إلى قسمين: إيجاز قصر و إيجاز حذف.

فإيجاز القصر و يسمّى إيجاز البلاغي يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف، كقوله تعالى: «و لكم في القصص حياة». [البقرة: ١٧٩] فإن معناه كثير و لفظه يسير، إذ المراد أن الإنسان إذا علم أنه متى قُتل قُتل، امتنع عن القتل و في ذلك حياته و حياة غيره؛ لأن القتل أنفى للقتل و بذلك تطول الأعمار و تكثر الذرية و يقبل كل واحد على ما يعود عليه بالنفع و يتم النظام و يكثر العمران. فالقصص هو سبب ابتعاد الناس عن القتل، فهو الحافظ للحياة. و هذا القسم مطمح نظر البلغاء، و به تتفاوت أقدارهم حتى أن بعضهم سئل عن البلاغة فقال: هي إيجاز القصر.

و إيجاز الحذف: يكون بحذف شيء من العبارة لا يخلّ بالفهم، عند وجود ما يدلّ على المحذوف، من قرينة لفظية أو معنوية. و ذلك المحذوف إما أن يكون:

١. حرفاً، كقوله تعالى: «تالله تفتأ تذكر يوسف» [يوسف: ٨٥] و المراد: تالله لا تفتأ، أي: لا تزال، فحذف «لا» من الكلام و هي مرادة. و كقول امرء القيس:

فقلتُ يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك و أوصالي

- أي: لا أبرح، فحذفت «لا» و هي مرادة. و نحو قوله تعالى: «بيّن الله لكم أن تضلّوا» [النساء: ١٧٦] أي: لئلا تضلّوا.

٢. أو إسماً، نحو: «و جاهدوا في الله حق جهاده» [الحج: ٧٨] أي: في سبيل الله و نحو: و واعدنا موسى ثلاثين ليلة و أتمناها بعشر» [الأعراف: ١٤٢] أي: بعشر ليال.

٣. أو شرطاً، نحو: «إتبعوني يُحببكم الله» [آل عمران: ٣١] أي: فإن تتبعوني.

٤. أو جواب، شرط نحو: «و لو ترى إذ وقفوا على النار» [الأنعام: ٢٧] أي: لرأيت أمراً فظيماً.

٥. أو مسنداً، نحو: «و لئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولنّ الله» [لقمان: ٢٥] أي: خلقهنّ الله. و نحو: «و لو أنّهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم» [الحجرات: ٥] و التقدير: و لو ثبت أنّهم صبروا.

٦. أو مسنداً إليه، نحو: «سورة أنزلناها» [النور: ١] أي: هذه سورة و نحو: «براءة من الله و رسوله» [توبه: ١] أي: هذه براءة.

٧. أو متعلّقاً، نحو: «لا يُسأل عمّا يفعل و هم يسألون» [الأنبياء: ٢٣] أي: عمّا يفعلون.

٨. أو جملةً، نحو: «كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيّين» [البقرة: ٢١٣] أي: فاختلفوا فبعث.

٩. أو جملاً، كقوله تعالى: «فأرسلون يوسفُ أيها الصديق» [يوسف: ٤٥ و ٤٦] أي: فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه فأتاه وقال له: يوسف أيها الصديق.
واعلم: أنّ دواعى الإيجاز كثيرة، منها: الإختصار و تسهيل الحفظ و تقريب الفهم و ضيق المقام و إخفاء الأمر على غير السامع و الضّجر و السّامة و تحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير، إلخ.

المبحث الثاني

في الإطناب وأقسامه

الإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أو ساط البلغاء لفائدة تقويته وتوكيده، نحو: «رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعِظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا» [مريم: ٤] أي: كبرت. فإذا لم تكن في الزيادة فائدة يسمّى تطويلاً وحشواً، وكلُّ منهما معيب في البيان وكلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة.

وأنواع الإطناب كثيرة، منها:

١. ذكر الخاص بعد العام: كقوله تعالى: «حافظوا على الصَّلوات و الصَّلَاة الوُسْطَى». [البقره: ٢٣٨] و فائدته التنبيه على مزيّة و فضل في الخاص حتّى كأنه لفضله و رفعتّه جزء آخر مغاير لما قبله و لهذا حُصّ الصلاة الوسطى بالذكر؛ لزيادة فضلها. و قوله تعالى: «تنزّل الملائكة و الرّوح فيها» [القدر: ٤] حُصّ الرّوح و هو جبريل الأمين بالذكر؛ تكريماً له و تعظيماً لشأنه.

٢. ذكر العام بعد الخاص: كقوله تعالى: «رَبِّ اغْفِرْ لِي و لوالديّ و لمن دخل بيتي مؤمناً و للمؤمنين و المؤمنات». [نوح: ٢٨] و فائدته شمول بقية الأفراد و الإهتمام بالخاص لذكره ثانياً في عنوان عام بعد ذكره أولاً في عنوان خاص.

٣. الإيضاح بعد الإبهام: لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرّتين، مرّة على سبيل الإبهام و الإجمال و مرّة على سبيل التفصيل و الإيضاح، فيزيده ذلك نُبلاً و شرفاً، كقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم». [الصف: ١٠ و ١١] و كقوله تعالى: «و قضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوعٌ مُصبحين». [الحجر: ٦٦] فقوله «أنّ دابر هؤلاء» تفسير و توضيح لذلك الأمر المبهم، و فائدته توجيه الذهن إلى معرفته و تفخيم شأن المبيّن، و تمكينه في النفس فأبهم في كلمة الأمر ثم وضح بعد ذلك تهويلاً لأمر العذاب.

٤. التوشيح: و هو أن يُؤتَى في آخر الكلام غالباً بمثنى مفسّرٍ بمفردين ليرى المعنى في صورتين تخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلي الظهور المأنوس، كقول النبي (ص): يَشيب ابن آدم و يَشُبُّ فيه اثنان: الحرص و طول الأمل.

٥. التكرير: وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لأغراض:

الأول: التأكيد وتقرير المعنى في النفس، كقوله تعالى: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» [التكاثر: ٣ و٤]

و كقوله تعالى: «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا». [الإنشراح: ٥ و٦]

الثاني: قصد الإستيعاب، نحو: قرأتُ الكتابَ باباً باباً وفهمتُه كلمة كلمة.

الثالث: التلذذ بذكره، نحو قول الشاعر:

سقى الله نجداً والسلام على نجد و يا حبذا نجدٌ على القرب و البعد

٦. الاعتراض: لغرض يقصده المتكلم، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بجملة معترضة أو أكثر، لا محل لها من

الإعراب وذلك لأغراض يرمى إليها البليغ غير دفع الإيهام:

أ: كالدعاء، نحو: إني حفظك الله مريض. و كقول الشاعر:

إنَّ الشانين و بُلغتهما قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

ب: و التنزيه، كقوله: «و يجعلون لله البنات سبحانه و لهم ما يشتهون». [النحل: ٥٧]

ج: و التهويل، نحو: «و إنه لقسم لو تعلمون عظيم». [الواقعه: ٧٦]

٧. الإيغال: و هو ختم الكلام بما يفيد نكتة، يتم المعنى بدونها كالمبالغة مثلاً، كقول الشاعر:

و إنَّ صخرًا لتأتّم الهداة به كأنّه عَلم في رأسه نار

و نحو قوله تعالى: «و الله يرزق من يشاء بغير حساب». [البقره: ٢١٢]

٨. التذييل: و هو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة، تشتمل على معناها تأكيداً لمنطوق الأولى أو لمفهومها، نحو

قوله تعالى: «و قل جاء الحقّ و زهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً». [الإسراء: ٨١]

و كقوله:

و ليس بمُستبِقٍ أخاً لا تلمُّه على شعثٍ أيّ الرجال المهذب

فقد دلّ بمفهومه على نفي الكمال من الرجال، فأكدّه بقوله: «أيّ الرجال المهذب».

٩. الإحتراس: و يقال له التكميل، و هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم، فالإحتراس

يوجد حيثما يأتي المتكلم بمعنى يمكن أن يدخل عليه فيه لوم، فيفطن لذلك و يأتي بما يخلصه؛ سواء أوقع

الإحتراس في وسط الكلام، كقول طرفة بن العبد:

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع و ديمة تهمي

فقوله «غير مفسدها» للإحتراس. أو وقع الإحتراس في آخره، نحو: «ويُطعمون الطَّعام على حَبِّه» [الإنسان: ٨] أي مع حبِّ الطعام و اشتهاهم له، ذلك أبلغ في الكرم. فلفظ «على حَبِّه» فضلة للإحتراس و لزيادة التحسين في المعنى. و كقول أعرابيَّة لرجل: «أذَّل الله كلَّ عدوِّ لك إلا نفسك.»

١٠. التميم: و هو زيادة فضلة كمفعول أو حال أو تمييز أو جار و مجرور توجد حسناً بحيث لو حذفت صار الكلام مبتدلاً، كقول ابن المعتزِّ يصف فرساً:

صبينا عليها ظالمين سياتنا فطارت بها أيدي سراع و أرجل

إذ لو حذف «ظالمين» لكان الكلام مبتدلاً، لارقة فيه و لا طلاوة و توهم أنها بليدة تستحق الضرب. فائدة: و هناك أنواع أخرى من الإطناب، كما تقول في الشيء المستبعد: رأيتُه بعيني و سمعته بأذني و ذُقته بفمي، تقول ذلك لتأكيد المعنى و تقريره. و كقوله تعالى: «فخرَّ عليهم السَّقْف من فوقهم» [النحل: ٢٦] السقف لا يخرَّ طبعاً إلا من فوق ولكنه دلَّ بقولهم «من فوق» على الإحاطة و الشمول. و اعلم: أن دواعي الإطناب كثيرة: منها تثبيت المعنى و توضيح المراد و التوكيد و دفع الإبهام و إثارة الحمية و غير ذلك.

المبحث الثالث

في المساواة

المساواة: هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له، بأن تكون الألفاظ على قدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض، كقوله تعالى: «و ما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله» [البقره: ١١٠] و كقوله تعالى: و لا يحيق المكر السيِّء إلا بأهله. [فاطر: ٤٣]

و كقول النبي (ص): «الحلال بيِّنٌ، و الحرام بيِّنٌ و بينهما مشتبهاتٌ». و نحو قول عليٍّ عليه السلام: «أشدُّ الذنوب ما استخفَّ به صاحبه.»

و كقول زهير:

و مهما تكن عند امرء من خليقة و لو خالها تُخفي على الناس تُعلم

هذه أمثله للمساواة، لا يستغني الكلام فيها عن لفظ منه و لو حذف شيء، لأحلَّ بمعناه.

تمرين

بيّن الإيجاز و الإطناب و المساواة، و أقسام كل منها فيما يأتي:

- قال الله تعالى: و هل جزاء الإحسان إلا الإحسان. [الرحمن: ٦٠]

- و إن يكذبوك فقد كذبت رسلاً من قبلك. [فاطر: ٤]

- و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف. [آل عمران: ١٠٤]

- و هل نجازي إلا الكفور. [سبأ: ١٧]

- و لا تلبسوا الحق بالباطل و تكتموا الحق و أنتم تعلمون. [البقرة: ٤٢]

- قال رجُلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخِلا عليهما الباب... [المائدة: ٣]

- و وصينا الإنسان بوالديه حملته أمه و هنا على و هن. [لقمان: ١٤]

- تعرج الملائكة و الروح. [المعارج: ٤]

- و ما أكثر الناس لو حرصت بمؤمنين. [يوسف: ١٠٣]

- فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه أدلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين. [المائدة: ٥٤]

- قول النبي (ص): لا تزال أمّتي بخير ما لم تر الأمانة مغنماً و الزكاة مغرماً.

- قول النبي (ص): خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل و سوء الخلق.

- قال عليّ أمير المؤمنين (ع): إن الله أخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئاً من معصيته فربّما وافق سخطه و

أنت لا تعلم.

- قول الإمام عليّ (ص): فيا عجباً، والله يميّت القلب و يجلبّ الهَمَّ، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، و

تفرّقكم عن حقّكم.

- قال علي (ع): إن كلام الحكماء إذا كان صواباً كان دواءً، و إذا كان خطأً كان داءً.

- شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة و يستحلّ دم الحجاج في الحرم

- لم يُبقِ جودك لي شيئاً أوّملهُ تركتني أصحاب الدنيا بلا أملٍ

١. المعنى: أن كثرة جودك و برّك و إحسانك لم تبق لي شيئاً أرجوه في هذه الدنيا، فلقد أعطيتني، فبلغت من عطائك كلّ ما أوّملهُ، فليس لي بعد عطائك

شيء أرجوه.

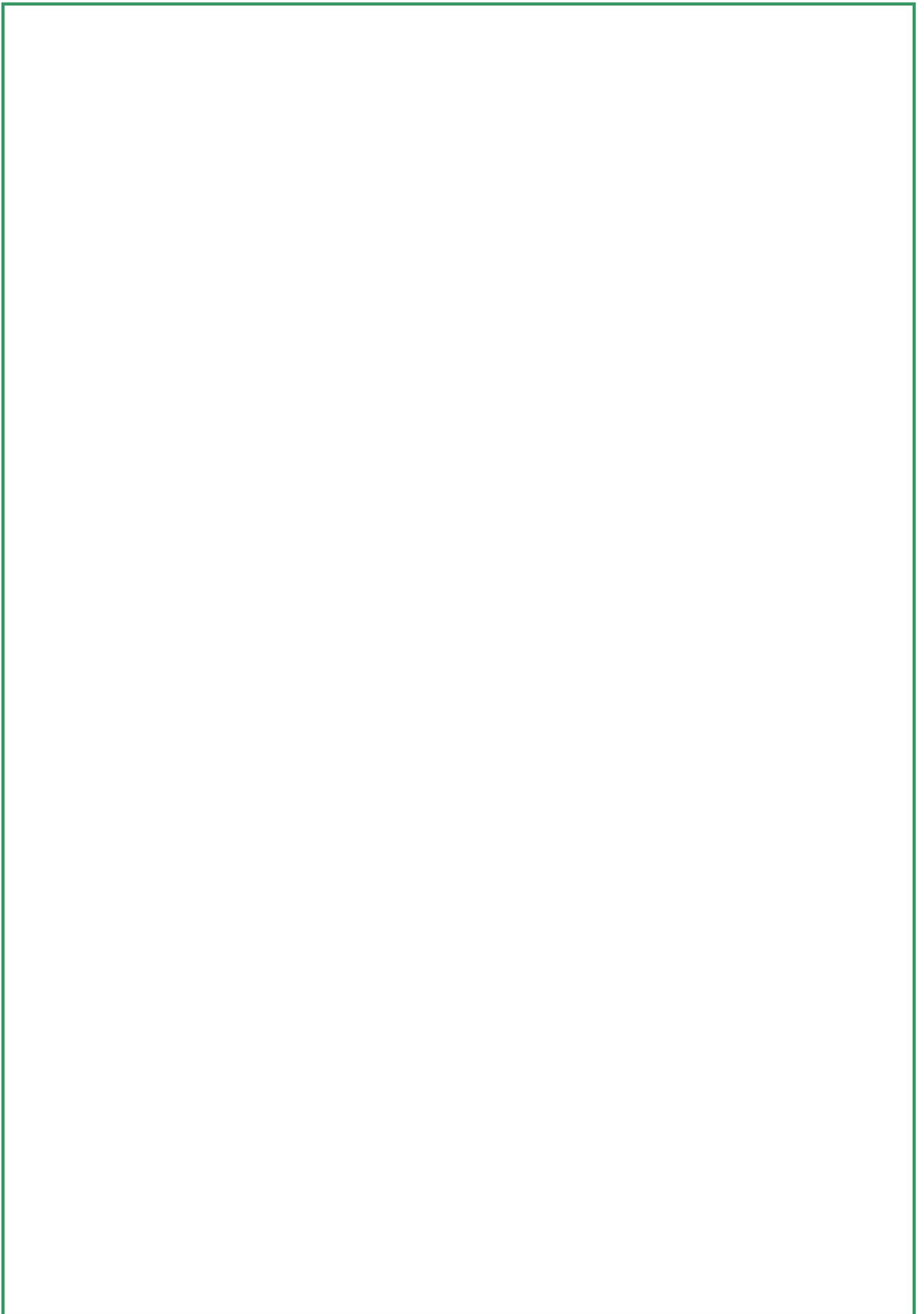
علم البيان

فيه ثلاثة أبواب:

١. في التشبيه

٢. في المجاز

٣. في الكناية



الدرس الواحد والعشرون

علم البيان

البيان: لغة الكشف والإيضاح والظهور.

و اصطلاحاً: أصولٌ وقواعد يُعرف بها إيرادُ المعنى الواحد، بطرقٍ يختلف بعضها عن بعضٍ في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى.

فالمعنى الواحد يستطاعُ أداءه بأساليب مختلفة في وضوح الدلالة عليه، كالجود يُدَلُّ عليه تارةً بطريق التشبيه، بأن يقال: «سعيدٌ كحاتم» و مرةً بطريق المجاز، بأن يقال: «رأيت بحراً في دار سعيد» و أخرى بطريق الكناية، بأن يقال: «سعيد كثيرُ الرماد». و لا يخفى أن بعض هذه التراكيب أوضح من بعضٍ كما ستعرفه.

- و موضوع هذا العلم: الألفاظ العربية من حيث التشبيه و المجاز و الكناية.

- و واضعه أبو عبيدة الذي دَوَّن مسائل هذا العلم في كتابه المسمى «مجاز القرآن».

- و ثمرته الوقوف على أسرار كلام العرب منثور و منظوم و معرفة ما فيه من تفاوتٍ في فنون الفصاحة، و تباين في درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم الذي حار الجنَّ و الإنس في مُحَاكاته و عجزوا عن الإتيان بمثله.

و في هذا الفن أبواب و مباحث.

١. أبو عبيدة، معمر بن المثنى التميمي (١١٠-٢٠٩هـ)، من أئمة العلم بالأدب و اللغة. مولده و وفاته البصرة. قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. من كتبه: مجاز القرآن، أيام العرب، معاني القرآن، نقايض جرير و الفرزدق و الأعلام زركلي، ج٧.

الباب الأول في التشبيه

تعريف التشبيه و بيان أركانه الأربعة

التشبيه: لغةً التمثيل، يُقال: هذا شبهُ هذا و مثيله.

و اصطلاحاً: عقد مماثلةٍ بين أمرين، أو أكثر، قُصد اشتراكهما في صفةٍ أو أكثر، بأداة لغرض يقصده المتكلم.
و أركان التشبيه أربعة:

١. المشبّه: هو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره.
٢. المشبّه به: هو الأمر الذي يلحق به المشبّه.
٣. وجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين و يكون في المشبّه به أقوى منه في المشبّه.
٤. أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدلُّ على التشبيه و يربط المشبّه بالمشبّه به.

المبحث الأول

في تقسيم طرفي التشبيه إلى حسيّ و عقلي

طرفا التشبيه، المشبّه و المشبّه به

١. إمّا حسيّان، أي مدركان بإحدى الحواسّ الخمس الظاهرة، نحو: أنت كالشمس في الضياء.
٢. و إمّا عقليّان، أي مدركان بالعقل، نحو: العلم كالحيّاة، و نحو: الضلال عن الحقّ كالعمى، و نحو: الجهل كالموت.
٣. و إمّا مختلفان؛ بأن يكون :

الف) المشبّه حسيّ و المشبّه به عقلي، نحو: طيب السوء كالموت.

ب) و المشبّه عقلي و المشبّه به حسيّ، نحو: العلم كالنور.

المبحث الثاني

في تقسيم طرفي التشبيه باعتبار الأفراد و التركيب

طرفا التشبيه، المشبّه و المشبّه به :

١. إمّا مفردان مطلقان، نحو: ضوءه كالشمس، و خدّه كالورد.

أو مقيدان، نحو: الساعي بغير طائلٍ كالترّاقم علي الماء.

أو مختلفان، نحو: ثغره كاللؤلؤ المنظوم.

٢. أو مركبان تركيباً إذا أفردت أجزاءه زال المقصود من هيئة «المشبه به»، نحو

وكانَّ أجرامَ السَّماءِ لوامعاً دررٌ نثرن على بساطِ أزرق

إذا لو قيل: كأنَّ النجومُ دُررٌ و كأنَّ السماءَ بساطِ أزرق. كان التشبيه مقبولاً، لكنّه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به.

٣. و أمّا مفرد بمركب، كقول الخنساء:

أَغْرَّ أَبْلَجُ تَأْتُمُّ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

٤. و إمّا مركب بمفرد، نحو:

لا تعجبوا من خاله في خده كُـلُّ الشَّقِيقِ بِنقطةِ سِوْدَاءِ

المبحث الثالث

في تقسيم طرفي التشبيه باعتبار تعددهما إلى أربعة أقسام:

١- التشبيه الملفوف: هو جمع كل طرف منهما مع مثله: كجمع المشبه مع المشبه، و المشبه به مع المشبه به، كقوله:

تَبَسَّمٌ وَقَطُوبٌ فِي نَدَى وَوَعَى كَالغَيْثِ وَالبَرَقِ تَحْتَ العَارِضِ البَرَدِ

٢- و التشبيه المفروق: هو جمع كل مشبه مع ما شبهه به، كقوله:

النشْرُ - مسكٌ وَ الوجوهُ دنانير وَ أطرافُ الأَكُفِّ عَنَمِ

٣- و تشبيه التسويه: هو أن يتعدّد المشبه دون المشبه به، كقوله:

صُدغُ الحَيِّيبِ وَ حَالِي كَالهَمِّ كَالليالي

وَ ثَغْرُهُ فِي صَفَاءِ وَ أدمعِي كَاللآلي

٤- و التشبيه الجمع: هو أن يتعدّد المشبه به دون المشبه، كقوله:

كَأَنَّمَا يَبْسُمُ عَن لَوْلُؤِ مِنْضِدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقْحِاحِ

الدرس الثاني والعشرون

المبحث الرابع

في تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه

ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى:

١. تشبيه تمثيل: وهو ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزِعاً من متعدّد؛ حسيّاً كان أو غير حسيّ، كقوله:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يوافي تمام الشهر ثم يغيبُ

٢. تشبيه غير تمثيل: وهو ما لم يكن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدّد، نحو: وجهه كالبدن

٣. مفصّل: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه، نحو: طبعُ فريد كالنسيم رقةً و يده كالبحر جوداً، كقوله:

شبيهه البدن حسناً و ضياءً و منالاً وشبيهه الغصن ليناً و قواماً و اعتدالاً

٤. مجمل: وهو ما لا يذكر فيه وجه الشبه، نحو: النحو في الكلام كالمالح في الطعام، و مثل قوله:

إنما الدنيا كبيتٍ نسجُه من عنكبوت

٥. قريب مبتذل: وهو ما كان ظاهر الوجه ينتقل فيه الذهن من المشبّه إلى المشبّه به من غير احتياج إلى شدة نظر و

تأمل؛ لظهور وجهه بادية الرأي و ذلك لكون وجهه لا تفصيل فيه، كتشبيه الخد بالورد في الحمرة، أو لكون

وجهه قليل التفصيل، كتشبيه الوجه بالبدن في الإشراق أو الإستدارة.

٦. و بعيد غريب: وهو ما احتاج في الإنتقال من المشبّه إلى المشبّه به إلى فكر و تدقيق نظرٍ لخباء وجهه بادية

الرأي، كقوله:

و لاحت الشمس تحكي عند مطلعها امرأة تير بدت في كف مرتعش

شبه الشمس حين تطلع حمراء لامعة مضطربة، بمرأة من ذهبٍ تضطرب في كفٍ ترتعش.

نكته: و حكم وجه الشبه أن يكون في المشبّه به أقوى منه في المشبّه وإلا فلا فائدة في التشبيه.

المبحث الخامس

في أدوات التشبيه

أدوات التشبيه هي ألفاظ تدلُّ على المماثلة، كالكاف و كأنَّ و مثل و شبه و غيرها ممَّا يؤدِّي معنى التشبيه، كِيحكي و يضاهي و يضارع و يماثل و يساوي و يشابه و كذا أسماء فاعلها.

أدوات التشبيه إمَّا:

- إِسْمٌ: مثل، شبه، نظير، مثل و... و إمَّا
- فعلٌ: يشابه، يُماثل، يُضارع، يَحكي و... و إمَّا
- حرفٌ: كاف، كأنَّ و...

أدوات التشبيه إمَّا:

- ملفوظةٌ نحو: جماله كالبدن، أخلاقه في الرقة كالنسيم. و إمَّا
- ملحوظةٌ نحو: إندفع الجيش اندفاع السيِّل، أي: كاندفاعه.

نكتةٌ:

كأنَّ تُفيد التشبيه إذا كان خبرها جامداً، نحو: كأنَّ البحر مرآة صافيةٌ

كأنَّ تُفيد الشكَّ إذا كان خبرها مشتقاً، نحو: كأنَّك فاهمٌ، و كقول الشاعر:

كأنَّك من كلِّ النفوس مرَّكبٌ فأنَّت إلى كلِّ النفوس حبيبٌ

فائدةٌ:

إن كان الفعل لليقين، أفاده قرب المشابهة، لما في فعل اليقين من الدلالة على تيقن الإلتحاد و تحقُّقه و هذا يُفيد التشبيه مبالغة، نحو: رأيت الدنيا سراباً غزَّاراً.

و إن كان الفعل للشكَّ أفاد بُعدها؛ لما في فعل الرجحان من الإشعار بعدم التحقُّق و هذا يفيد التشبيه ضعفاً، كقوله تعالى: و إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً.

قد يغني عن أداة التشبيه فعلٌ يدلُّ على حال التشبيه و لا يعتبر أداة

المبحث السادس في تقسيم التشبيه
باعتبار أدواته

١. التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة، كقول الشاعر:
إِنَّمَا الدُّنْيَا كَبَيْتٍ نَسَجَهُ مِنْ عُنْكَبُوتٍ

٢. المؤكّد: وهو ما حُذفت منه أدواته، كقول الشاعر:
وَأَنْتَ بَحْرٌ فِي رَفْعَةٍ وَضِيَاءٍ تَجْتَلِيكَ الْعَيُونُ شَرْقًا وَغَرْبًا

٣. التشبيه البليغ: هو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه، نحو:
فَاقْضُوا مَا رَيْبِكُمْ عَجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ
وَنَحْوُ:
عِزَمَاتِهِمْ قُضِبٌ وَفَيْضٌ أَكْفَهُمْ سَحْبٌ وَبَيْضٌ وَجُوهُهُمْ أَقْمَارٌ

تقسيم التشبيه
باعتبار أدواته:

الدرس الثالث والعشرون

المبحث السابع

في فوائد التشبيه

فوائد التشبيه تعود في أكثر المواضع إلى المشبه، وهي إمّا:

١. بيان حاله: وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف، كقول الشاعر:

إذا قامت لحاجتها تشئت كأن عظامها من خيزران

شبه عظامها بالخيزران بياناً لما فيها من اللين.

٢. بيان إمكان حاله: وذلك حين يُسند إليه أمرٌ مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له، كقوله:

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

شبه نظرها بوقع السهام، وشبه إعراضها بنزعها بياناً لإمكان إيلاهما بهما جميعاً.

٣. أو بيان مقدار حاله قوةً وضعفاً: وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية، و كان التشبيه

يبيّن مقدار هذه الصفة، كقوله:

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحاب لاريث ولا عجل

و كتشبيه الماء بالثلج في شدة البرودة.

٤. أو تقرير حاله في نفس السامع: بإبرازها فيما هي فيه أظهر، كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت و

الإيضاح بالمثال، كقوله:

إن القلوب إذا تنافرت وذهبا مثل الزجاجه كسرها لا يجبر

شبه تنافر القلوب بكسر الزجاجه تشبيهاً لتعدّد عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأناس و المودّة.

٥. أو بيان إمكان وجوده: بحيث يبدو غريباً يستبعد حدوثه و المشبه به يُزيل غرابته و يبيّن أنّه ممكن الحصول،

كقوله:

فإن تُفّق الأنام و أنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

٦. أو مدحه و تحسينه، كقول الشاعر:

كأنك شمس و الملوک كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

٧. أو تشويه المشبه و تقبيحه، تنفيراً منه أو تحقيراً له بأن تُصوّره بصورة تمجّجها النفس، و يشمّرّ منها الطبع، كقوله:

و إذا أشار مُحَدّثاً فكأنّه قرّد يُقهقه أو عجوزٌ تلطم

٨. أو استطرافه: أي عدّه طريفاً حديثاً؛ إمّا لإبرازه في صورة الممتنع عادةً، كما في قول الشاعر:

أنظر إلى الفحم فيه الجمر متقد كأنه بحر مسكٍ موجه الذهب

و إمّا لندور حضور المشبه به في النفس عند حضور المشبه، كقوله:

أنظر إليه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلته حمولةٌ من عنبر

التشبيه الضمني

هو تشبيه لا يُوضع فيه المشبه و المشبه به، في صورةٍ من صور التشبيه المعروفة: بل يُلمح إلى المشبه و المشبه به و يُفهمان من المعنى و يكون المشبه به دائماً برهاناً على إمكان ما أسند إلى المشبه، كقول المتنبي:

مَنْ يَهْنِ يسهل الهوانُ عليه ما جرحَ بميتٍ إيلاًمٌ

أي: إنّ الذي اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمّله، و لا يتألّم له، و ليس هذا الإدعاء باطلاً، لأنّ الميت إذا جرح لا يتألّم، و نحو:

علا فما يستقرّ المأل في يده و كيف تمسكُ ماءً فنةً الجبل

فالمشبه الممدوح هو ضمير «علا» و المشبه به «قنة الجبل» و المشبه الثاني هو «المال» و المشبه به الثاني هو «الماء» و وجه الشبه، عدم الإستقرار و الأداة محذوفة أيضاً.

التشبيه المقلوب

قد يُعكس التشبيه، فيجعل المشبه مشبهاً به و بالعكس فتعود فائدته إلى المشبه به؛ لادعاء أنّ المشبه أتمّ و أظهر من المشبه به في وجه الشبه. و يسمّى ذلك بالتشبيه المقلوب أو المعكوس، نحو:

كأنّ صوّء النَّهار جبينه كأنّ نَشَرَ الروض حُسْنُ سيرته

و كأنّ الماء في الصّفاء طباعه. و كقول الشاعر:

و بدا الصّباح كأنّ عُرتَه وجه الخليفة حين يمدحُ

شبه عُرة الصّباح بوجه الخليفة، إيهاً ما أنّه أتمّ منها في وجه الشبه. و هذا التشبيه مظهرٌ من مظاهر الإفتنان و الإبداع، كقوله تعالى حكايةً عن الكُفّار: «إنّما البيعُ مثل الرّبا». [البقرة: ٢٧٥]

في مقام أنّ الرّبا مثل البيع، عكسوا ذلك لإيهام أنّ الرّبا عندهم أحلّ من البيع؛ لأنّ الغرض الربح و هو أثبت وجوداً في الرّبا منه في البيع، فيكون أحقّ بالحلّ عندهم.

تنبيهات

الأول: بعض أساليب التشبيه أقوى من بعض في المبالغة و وضوح الدلالة، ولها مراتب ثلاثة:

أ. أعلاها و أبلغها: ما حذف فيها الوجه و الأداة، نحو: عليُّ أسدٌ، و ذلك أنك ادّعت الإتحاد بينهما بحذف

الأداة، و ادّعت التشابه بينهما في كلِّ شيءٍ بحذف الوجه و لذا سمّي هذا تشبيهاً بليغاً.

ب. المتوسطة: ما تحذف فيها الأداة و حدها، كما تقول: عليُّ أسدٌ شجاعة، أو يحذف فيها وجه الشبه، فتقول: عليُّ

كالأسد. بيان ذلك، أنك بذكر الوجه حصرت التشابه، فلم تدع للخيال مجالاً في الظنّ، بأن التشابه في كثيرٍ من

الصفات، كما أنك بذكر الأداة نصّصت على وجود التفاوت بين المشبه و المشبه به، و لم تترك باباً للمبالغة.

ج. أقلها: ما ذكر فيها الوجه و الأداة، و حينئذٍ فقدت الميزتين السابقتين.

الثاني: قد يكون الغرض من التشبيه حسناً جميلاً، و ذلك هو النمط الذي تسموا إليه نفوس البلغاء، و قد أتوا فيه

بكلِّ حسنٍ بديعٍ، كقول ابن نباتة في وصف فرسٍ أعرّ محجّل:

و كأننا لطم الصّباح جبينه فاقترض منه فخاض في أحشائه

و قد لا يوفق السامع إلى وجه الشبه، أو يصل إليه مع بُعد، و ما أخلق مثل هذا النوع بالإستكراه و أحقه بالذمّ، لما

فيه من القبح و الشناعة بحيث ينفر منه الطبع السليم.

فائدة

قد جرى العرب و المحدثون على تشبيه الجواد بالبحر و المطر، و الشجاع بالأسد، و الوجه الحسن بالشمس و

القمر، و الشهم الماضي في الأمور بالسيف، و الوجه الصبيح بالدينار، و الشعر الفاحم بالليل، و العالى المنزلة

بالنجم، و الحليم الرّزين بالجبل، و الأمانى الكاذبة بالأحلام، و الماء الصافي باللّجين، و الليل بموج البحر، و

الجيش بالبحر الزاخر، و الخيل بالريح و البرق، و النجوم بالدرر و الأزهار، و الأسنان بالبرد و اللؤلؤ، و السفن

بالجبال، و الجداول بالحيات المتوية و الشيب بالنهار و لمع السيوف، و غرّة الفرس بالهلال.

و يُشبّهون الجبان بالنعامة و الذبابة، و اللئيم بالثعلب، و الطائش بالفراش، و الذليل بالوتد، و القاسي بالحديد و

الصّخر، و البليد بالحمار، و البخيل بالأرض المُجدبة.

و قد اشتهر رجالٌ من العرب بخصالٍ محمودَةٍ، فصاروا فيها أعلاماً فجرى التشبيه بهم فيشبهه الوَفي بالسموأل^١، و الكريّم بحاتم، و الحلِيم بالأحف^٢، و الفصيحُ بسحبان، و الخطيبُ بقسّ^٣، و الشجاع بعمر بن معديكرب، و الحكيم بلقمان^٤، و الذكي بإياس.

و اشتهر آخرون بصفات ذميمة، فجرى التشبيه بهم أيضاً، فيشبهه العَيي بياقل^٥، و الأحمق بهبنقة^٦، و النادم بالكسعي^٧، و البخيلُ بهادر^٨، و الهجاءُ بالخطيئة^٩، و القاسي بالحجاج الثقفي أحد جبابرة العرب، المتوفى سنة ٩٧هـ.

تمرين

بين أنواع التشبيه فيما يأتي:

- قال تعالى: مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يومٍ عاصف. [ابراهيم: ١٨]
- قال تعالى: والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً. [النور: ٣٩]
- قال تعالى: مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة و الله يُضاعف لمن يشاء و الله واسع عليم. [البقرة: ٢٦١]
- قال تعالى: فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية. [الحاقة: ٧]
- قال تعالى: والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيءٍ إلاّ كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه و ما هو ببالغه. [الرعد: ١٤]

١. هو سموأل بن عادياة اليهودي، يضرب به المثل في الوفاء، و هو من شعراء الجاهلية، توفي سنة ٦٢ ق.

٢. هو الأحف بن قيس من سادات التابعين، كان شهماً حليماً، عزيزاً في قومه إذا غضب له مائة ألف سيف لا يسألون لماذا غضب: توفي سنة ٦٧ هـ.

٣. هو قس بن ساعدة الأبادي، خطيب العرب قاطبة، و يضرب به المثل في البلاغة و الحكمة.

٤. حكيم مشهور آتاه الله الحكمة، أي الإصابتة بالقول و العمل.

٥. رجل اشتهر بالعي، اشترى غزلاً مرة بأحد عشر درهماً، فسئل عن ثمنه فمدّ أصابع كفيه يريد عشرة، و أخرج لسانه ليكملها أحد عشر، ففرّ الغزال، فضرب به المثل في العي.

٦. هو لقب أبي الودعات يزيد بن ثروان القيسي، يضرب به المثل في الحمق.

٧. هو غامد بن الحرث، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حُرْمٍ بخمسة أسهم، و كان يظن كل مرة أنه مخطيء، فغضب و كسر قوسه، لما أصبح رأى الحمر مصروعة و الأسهم مخرجة بالدم، فندم على كسر قوسه، وعض على إبهامه فقطعها.

٨. لقب رجل من بني هلال، اسمه مخارق، و كان مشهوراً بالبخل و اللؤم.

٩. شاعر مخضرم، كان هجاءً مرأً، و لم يكذب يسلم من لسانه أحد، هجأ أمه و أباه، و نفسه و له ديوان شعر، و توفي سنة ٤٠ هـ.

- قال النبي (ص): من زاد أدبه على عقله كان كالراعي بين غنم كثيرة.
- قال النبي (ص): مُصاحب الأشرار كراكب البحر إن سلم من الغرق لم يسلم من الفرق.
- قال النبي (ص): مثل المنافق كالخنْظلة الحَصْرَةُ أوراقيها المرّة مذاقيها.
- قال النبي (ص): مثل الدنيا كظلك إن وقفت وقف وإن طلبته بعد.
- قال النبي (ص): مثل المنافق كمثل الشاة الحائرة بين الغنمين.
- قال النبي (ص): لا تستكثرن من إخوان الدنيا فإنك إن عجزت عنهم تحولوا أعداء وإن مثلكم كمثل النار كثيرها يُحرق وقليلها يُنفع.
- قال عليّ (ع): الكلام كاللدواء قليله ينفع وكثيره قاتل.
- قال عليّ (ع): الصاحب كالرقعة فاتخذها مشاكلاً.
- قال عليّ (ع): إنما الدنيا شركٌ وقع فيه من لا يعرفه.
- قال عليّ (ع): المنافق كالهرباء.
- قال عليّ (ع): إن مثل الدنيا والآخرة كرجلٍ له امرأتان إذا أرضى إحداهما سخط الأخرى.
- قال عليّ (ع): إنما قلب الحدث كالأرض الخالية مهما التي فيها من كل شيء قبله.
- قال عليّ (ع): كُن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب.
- قال عليّ (ع): صحبة الأشرار تكسب الشر كالريح إذا مرّت بالتن حملت نتناً.
- قال عليّ (ع): الدنيا كيوم مضى و شهر انقضى.
- قال عليّ (ع): الرفيق كالصديق فاختره موافقاً.
- قال عليّ (ع): نعمة لا تُشكر كذنب لا تُغفر.
- قال عليّ (ع): مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج يضيء للناس ويُحرق نفسه.
- قال الشاعر:

- ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
- إن السفينة لا تجري على اليبس

- وغير تقى يأمر الناس بالتقى
- طيبٌ يُداوي الناس وهو مريض

- لا تنكري عطل الكريم من الغنى
- فالسيل حربٌ للمكان العالي

- بُليت بلى الأطلال إن لم أقف بها
- وقوف شحيح ضاع في التراب

حُبُّ الرضاع وإن تَفَطَّمه يَنْفَظِم
كالظِّلِّ في الإقبالِ والإدبارِ
والمراءِ بينهما خيالٌ سارٍ
وفي الليلة الظَّلماءِ يفتقد البدر
ولكن معدن الذهب الرَّغام
كأنَّك بحرٌ و الملوک جداول
و كيف تمسك ماء قنَّة الجبل

- و النفس كالطفل إن تمهله شبَّ على
- العمر و الإنسان و الدنيا هموم
- فالعيش نومٌ و المنيَّة يَقْظَةُ
- سيذكرني قومي إذا جدَّ جدُّهم
- و ما أنا منهم بالعيش فيهم
- أري كُلاًّ ذي جود إليك مصيره
- علفها يستقرُّ المال في يده
- القلوب كالطير في الألفة إذا أنست
- الدنيا كالماء المالح كلما ازددت منه شرباً ازددت عطشاً.
- جليسُ السُّوء كالقَيْن إن لم يُحرق ثوبك دخنه.
- كأن مكر الثعلب احتياله.
- كأنَّ السُّحر بيأئك.
- لمع البرق يحكي ابتسامه.
- كأن ساحة حاتم ساحتك.

الدرس الرابع والعشرون

الباب الثاني

في المجاز

المجاز مشتق من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، سَمَّوا به اللَّفْظَ الَّذِي نُقِلَ مِنْ مَعْنَاهِ الْأَصْلِيِّ، واستعمل ليدل على معنى غيره، مناسب له.

والمجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة؛ لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفاً بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع، لهذا شغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الإتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الالفاظ. وفي هذا الباب مباحث:

المبحث الأول

في تعريف المجاز وأنواعه

المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي.

والعلاقة وهي المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، قد تكون المشابهة بين المعنيين، وقد تكون غيرها فإذا كانت العلاقة المشابهة فالمجاز استعارة وإلا فهو مجاز مُرسل.

والتقريئة: وهي المانعة من إرادة المعنى الحقيقي، قد تكون لفظية وقد تكون حالية، كما سيأتي.

وينقسم المجاز إلى أربعة أقسام: مجاز مفرد مُرسل، و مجاز مفرد بالإستعارة و يجريان في الكلمة، و مجاز مركب مرسل و مجاز مركب بالإستعارة و يجريان في الكلام.

المبحث الثاني

في المجاز اللغوي المفرد المرسل و علاقته

المجاز المفرد المرسل: هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي.

و له علاقات كثيرة، أهمها:

١. السببية: وهي كون الشيء المنقول عنه سبباً و مؤثراً في غيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ السبب و أريد منه المسبب، نحو: رَعَتِ الماشية الغيثَ، أي: النبات؛ لأن الغيث أي المطر سببٌ فيه و قرينته لفظيةٌ وهي «رَعَتِ»؛ لأن العلاقة تُعتبر من جهة المعنى المنقول عنه.
٢. و المسيبية: هي أن يكون المنقول عنه مسبباً و أثراً لشيء آخر، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ المسبب و أريد منه السبب، نحو: «و يُنزل لكم من السماء رزقاً» [غافر: ١٣] أي: مطراً يُسببُ الرزق.
٣. و الكلية: هو كون الشيء متضمناً للمقصود و لغيره، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ الكل و أريد منه الجزء، نحو: «يجعلون أصابعهم في آذانهم» [البقرة: ١٩] أي: أناملهم. و القرينة حالية و هي استحالة إدخال الأصبع كله فى الأذن. و نحو: شربت ماء النيل، و المراد بعضه، بقرينة «شربت».
٤. و الجزئية: هي كون المذكور ضمن شيء آخر، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ الجزء، و أريد منه الكل، مثل قوله تعالى: «فتحرير ربة مؤمنة» [النساء: ٩٢]. و نحو: نشر الحاكم عيونه فى المدينة أي: الجواسيس، فالعيون مجازٌ مرسل، علاقته الجزئية؛ لأن كل عين جزء من جاسوسها و القرينة الإستحالة.
٥. و اللازمية: هي كون الشيء يجب وجوده عند وجود شيء آخر، نحو: طلع الضوء، أي: الشمس فالضوء مجاز مرسل، علاقته اللازمية؛ لأنه يوجد عند وجود الشمس، و المعتبر هنا اللزوم الخاص و هو عدم الانفكاك.
٦. و الملزومية: هي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر، نحو: ملأت الشمس المكان، أي: الضوء. فالشمس مجاز مرسل، علاقته الملزومية؛ لأنها متى وُجدت وُجد الضوء، و القرينة «ملأت».
٧. و اعتبار ما كان: هو النظر إلى الماضي، أي: تسمية الشيء باسم ما كان عليه، نحو: «و أتوا اليتامى أموالهم» [النساء: ٢] أي: الذين كانوا يتامى، ثم بلغو؛ فاليتامى مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان.
٨. و اعتبار ما يكون: هو النظر إلى المستقبل، و ذلك فيما إذا أطلق اسم الشيء على ما يؤول إليه، كقوله تعالى: «إني أراني أعصرُ خمرًا» [يوسف: ٣٦]، أي: عصيراً يؤول أمره إلى خمر؛ لأنه حال عصره لا يكون خمرًا. فالعلاقة هنا اعتبار ما يؤول إليه.
٩. و الحالية: هي كون الشيء حالاً في غيره، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ الحال و أريد المحل؛ لما بينها من الملازمة، نحو: «ففي رحمة الله هم فيها خالدون» [آل عمران: ١٠٧] فالمراد من الرحمة الجنة التي تحل فيها رحمة الله. ففيه مجاز مرسل، علاقته الحالية.

١٠. و المحلّية: هي كون الشيء محلّ فيه غيره، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ المحلّ و أريد به الحالّ فيه، كقوله تعالى: «فليدع ناديه» [العلق: ١٧] و المراد من محلّ في النادي. و كقوله تعالى: «يقولون بأفواههم» [آل عمران: ١٦٧] أي ألسنتهم؛ لأن القول لا يكون عادة الأّبها.

١١. و التعلّق الإشتقائي: هو إقامة صيغة مقام أخرى، و ذلك:

أ. كإطلاق المصدر على اسم المفعول، في قوله تعالى: «صنع الله الذي أتقن كلّ شيء» [النمل: ٨٨] أي: تكذيب.

ب. و كإطلاق اسم الفاعل على اسم المفعول، في قوله تعالى: «لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم» [هود: ٤٣] أي: لا معصوم.

ج. و كإطلاق اسم الفاعل على المصدر، في قوله تعالى: «ليس لوقعتها كاذبة» [الواقعة: ٢] أي: تكذيب.

د. و كإطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل، في قوله تعالى: «و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً». [الإسراء: ٤٥] أي: ساتراً. و القرينة على مجازية ما تقدّم، هي ذكر ما يمنع إرادة المعنى الأصلي.

تمرين

بيّن المجاز المرسل و علاقته فيما يلي:

- قال الله تعالى: و أسأل القرية التي كنّا فيها.
- قال الله تعالى: و أرسلنا من السماء رزقاً.
- قال الله تعالى: يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.
- قال الله تعالى: يُرسلُ السماء عليكم مدراراً.
- قال الله تعالى: قم الليل إلا قليلاً.
- قال الله تعالى: و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه.
- قال النبي (ص): من قام رمضان إيماناً و احتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه.
- أعرنني أذنّاً و اعيّةً.
- أرسلت العيون لتطّلع علي أحوال العدوّ.
- عظمت يد فلان عندي.
- الإسلام يحثّ على تحرير الرّقاب.

- سَقَتِ الدُّلُ الأَرْضَ.

- في الشتاء نلبسُ الصُّوفَ و في الصيف نلبسُ الكَتَانَ.

- قول الشاعر:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزةٌ

وأهلي وإن ضنّوا عليّ كرامٌ

- إنَّ العدوَّ وإن تقادم عهدُهُ

فالحقدُ باقٍ في الصُّدور مغرَّبُ

- الدهر يفترس الرِّجال فلا تكن

ممن تُطيشهمُ المناصبُ والرُّتب

- له أيادٍ عليّ سابعَةٌ

أعدُّ منها ولا أعدُّدها

الدرس الخامس والعشرون

المبحث الثالث

في تعريف المجاز العقلي وعلاقاته

المجاز العقلي: هو إسناد الفعل، أو ما في معناه من اسم فاعل أو اسم مفعول أو مصدر إلى غير ما هو له في الظاهر من المتكلم، لعلاقة مع قرينة من أن يكون الإسناد إلى ما هو له. فإذا قلنا مثلاً: «بنى الأمير المدينة»، فقد أسندنا البناء إلى الأمير وهو لا يبني، فهذا الإسناد غير حقيقي؛ لأن الإسناد الحقيقي هو إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي، فالإسناد هنا إذاً مجازي. وسمي عقلياً؛ لأن التجوز فهم من «العقل» لا من «اللغة» كما في المجاز اللغوي.

أشهر علاقات المجاز العقلي

١. الإسناد إلى الزمان، نحو: قول علي عليه السلام: فرّق بيننا وبينكم أمس [نهج البلاغه، نامه ٦٤/٦]، أسند التفرقة إلى «أمس» وهو لم يفعل بل كان واقعاً فيه على سبيل المجاز.
٢. الإسناد إلى المكان، نحو قوله تعالى: «وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم» [الأنعام: ٦] فقد أسند الجري إلى الأنهار، وهي أمكنة للمياه، وليست جارية بل الجاري ماؤها.
٣. الإسناد إلى السبب، نحو:

إني لمن معشرٍ — أفنى أوائلهم قيل الكماة ألا أين المحامونا؟

إسناد الإفناء إلى قول الكماة غير حقيقي؛ لأن القول لا يُفنى ولكنه سبب في هجوم هؤلاء وقتلهم. ففي العبارة مجاز عقلي علاقته السببية.

٤. الإسناد إلى المصدر، نحو:

سيذكرني قومي إذا جدّ جدُّهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدرُ

فقد أسند الجدّ إلى الجدّ، أي: الإجهاد، وهو ليس بفاعل له، بل فاعله الجادّ، فأصله: جدّ الجادّ جدّاً، أي: اجتهد اجتهداً. فحذف الفاعل الأصلي وهو الجادّ وأسند الفعل إلى الجدّ.

١. و معنى كونه «غير ماهوله» أنه ليس من حقه أن يسند إليه.

تمرين

بيّن المجاز العقلي و علاقته فيما يأتي:

- قوله تعالى: فما ربحت تجارتهم.

- هزم الأمير الجُند.

- إزدحم الشارع.

- طبع المؤلف الكتاب.

- قرّر المجلس ذلك.

- ضَرَّ سَهْمُ الزَّمان و طحتهم الأيام.

- محبَّتكَ جاءت بي إليك.

- سال الوادي

- و كم علّمته نظم القوافي فلما قال قافيةً هجاني

المبحث الرابع

في تعريف الإستعارة و بيان أنواعها

الإستعارة لغةً من قولهم: استعار المال إذا طلبه عاريةً و اصطلاحاً هي استعمال اللفظ في غير ما وُضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه و المعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي.

و الإستعارة ليست إلاً تشبيهاً مختصراً لكنّها أبلغُ منه، كقولك: رأيتُ أسداً في المدرسة، فأصل هذه الإستعارة «رأيتُ رجلاً شجاعاً كالأسد في المدرسة» فحذفت المشبّه «لفظ رجل» و حذفت الأداة «الكاف» و حذفت وجه التشبيه «الشجاعة» و ألحقته بقرينة المدرسة لتدلّ على أنك تريد بالأسد شجاعاً.

و أركان الإستعارة أربعة:

١. مستعار منه و هو المشبه به
 ٢. مستعار له و هو المشبّه
 ٣. مستعار و هو اللفظ المنقول
 ٤. و الجامع و هو وجه الشبه
- و يقال لهما: الطرفان

فكلّ مجاز يبنى على التشبيه يسمّى استعارة. و لا بدّ فيها من عدم ذكر وجه الشبه و لا أداة التشبيه، بل و لا بدّ أيضاً من تناسي التشبيه الذي من أجله وقعت الإستعارة فقط، مع ادّعاء أنّ المشبّه عين المشبّه به أو ادّعاء أنّ المشبه فردٌ من أفراد المشبّه به الكلّي.

الدرس السادس والعشرون

المبحث الخامس

في تقسيم الإستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين

إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط، فاستعارة تصريحية أو مُصْرحة، نحو:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقت ورداً و عَصَّت على العُنَّاب بالبرَد

فقد استعار اللؤلؤ والنرجس والورد والعُنَّاب والبرَد للدموع والعيون والحدود والأنامل والأسنان. وإذا ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط و حُذِف فيه المشبه به و أُشير إليه بذكر لازمه المُسمَّى تخيلاً فاستعارة مكنية أو بالكنية، كقوله:

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفت كل تميمةٍ لاتنفع

فقد شبه المنيّة بالسبع بجامع الإغتيال في كل و استعار السبع للمنيّة و حذفه و رمز إليه بشيء من لوازمه و هو الأظفار على طريق الإستعارة المكنية الأصلية و قرينتها لفظة «أظفار».

المبحث السادس

في الإستعارة باعتبار الطرفين

إذا كان المستعار له مُحَقَّقاً حساً بأن يكون اللفظ قد نُقل إلى أمر معلوم يمكن أن يشار إليه إشارة حسية، كقولك: «رأيت بحراً يعطي» أو كان المستعار له مُحَقَّقاً عقلاً بأن يمكن أن يُنص عليه و يُشار إليه إشارة عقلية، كقوله تعالى: «إهدنا الصراط المستقيم» [الفاتحة : ٥] أي: الدين الحقّ فالإستعارة تحقيقية، و إن لم يكن المستعار له مُحَقَّقاً لاجساً و لاجساً فالإستعارة تخيلية و ذلك كالأظفار في نحو: أنشبت المنيّة أظفارها بفلان.

المبحث السابع

في الإستعارة باعتبار اللفظ المستعار

١. إذا كان اللفظ المستعار إسماً جامداً لذات كالبدن، إذا استعير للجَمِيل أو اسماً جامداً لمعنى كالقتل، إذا استعير للضرب الشديد سُميت الإستعارة أصلية في كل من التصريحية و المكنية، كقوله تعالى: «كتاب أنزلناه إليك

لتخرج الناس من الظلمات إلى النور» [ابراهيم: ١] و كقوله تعالى: «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة» [الاسراء: ٢٢] وسميت أصلية؛ لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر معتبرٍ أولاً.

٢. وإذا كان اللفظ المستعار فعلاً أو اسم فعل أو اسماً مشتقاً أو اسماً مبهماً أو حرفاً فالإستعارة تصرّحية تبعية، نحو: نامت همومي عني ونحو «صه» الموضوع للسكوت عن الكلام والمستعمل مجازاً في ترك الفعل ونحو: «هذا» الموضوع للإشارة الحسية والمستعملة مجازاً في الإشارة العقلية، نحو: هذا رأي حسنٌ ونحو قوله تعالى: «و لأصلبنكم في جذوع النخل». [طه: ٧١] ونحو قوله تعالى: «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً». [القصص: ٨]

المبحث الثامن

في تقسيم الإستعارة المصرحة باعتبار الطرفين إلى عنادية و وفاقية

فالعنادية هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد؛ لتنافيها كاجتماع النور والظلام، و الوفاقية هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد؛ لعدم التنافي كاجتماع النور والهدى، ومثالها قوله تعالى: «أومن كان ميتاً فأحييناه» [الأنعام: ١٢٢] أي: ضالاً فهديناه.

ففي هذه الآية استعارتان:

الأولى في قوله: «ميتاً» شبه الضلال بالموت بجامع ترتب نفي الإنتفاع في كل واستعير الموت للضلال واشتق من الموت بمعنى الضلال، ميتاً بمعنى ضالاً وهي عنادية؛ لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء واحد.

و الثانية استعارة الإحياء للهداية وهي وفاقية؛ لإمكان اجتماع الإحياء والهداية في الله تعالى، فهو حي و هادٍ.

فائدة: الإستعارة العنادية قد تكون تمليلية أي: المقصود منها التمليح و الظرافة، و قد تكون تهكمية، أي: المقصود منها التهكم و الإستهزاء؛ بأن يستعمل اللفظ الموضوع لمعنى شريف، على ضده أو نقيضه، نحو: «رأيت أسداً» تريد جباناً، قاصداً التمليح و الظرافة أو التهكم و السخرية و هما اللتان نزل فيهما التضاد منزلة التناسب، نحو: «فبشرهم بعذاب أليم» أي: أنذرهم، فاستعيرت البشارة التي هي الخبر السار للإنذار الذي هو ضده بإدخال الإنذار في جنس البشارة على سبيل التهكم والإستهزاء. و كقوله تعالى: «فاهدوهم إلى صراط الجحيم». [الصافات: ٢٣]

المبحث التاسع

في تقسيم الإستعارة باعتبار الجامع

الإستعارة المصّرحة باعتبار الجامع نوعان:

١. عامية وهي القريبة التي لاكتها الألسن فلا تحتاج إلى بحث و يكون الجامع فيها ظاهراً، نحو: رأيت أسداً يرمي.

٢. وخاصة وهي الغريبة التي يكون الجامع فيها غامضاً لا يدركه إلا أصحاب المدارك من الخواص، كقول الشاعر:

غَمَرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً غَلَقْتَ لَضَحِكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ

غمر الرِّدَاءِ «كثير العطايا والمعروف»، إستعار الرداء للمعروف؛ لأنّه يصون و يستر عرض صاحبه كستر الرداء ما يلقي عليه، و أضاف إليه الغمر و هو القرينة على عدم إرادة معنى الثوب؛ لأنّ الغمر من صفات المال لامن صفات الثوب.

و هذه الإستعارة لا يظفر باقتطاف ثارها إلا ذوا الفِطْرِ السليمة و الخبرة التامة.

الدرس السابع والعشرون

المبحث العاشر

في تقسيم الإستعارة باعتبار ما يتصل بها من الملائمات و عدم اتصاها

تنقسم الإستعارة باعتبار ذكر ملائم المستعار منه، أو باعتبار ذكر ملائم المستعار له، أو باعتبار عدم اقترانها بما يلائم أحدهما إلى ثلاثة أقسامٍ: مرشحة و مجردة و مطلقة.

أ. فالمرشحة هي التي قرنت بملائم المستعار منه أي: المشبه به، نحو:

«أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم» [البقرة: ١٦].

أستعير الشراء للإستبدال و الإختيار، ثم فرّع عليها ما يلائم المستعار منه من الربح و التجارة و نحو: من باع دينه بدنياه لم تربح تجارته.

ب. و المجردة هي التي قرنت بملائم المستعار له أي: المشبه، نحو: اشتر بالمعروف عرضك من الأذى.

ج. و المطلقة هي التي لم تقترن بما يلائم المشبه و المشبه به، نحو: «والذين ينقضون عهد الله» [الرعد: ٢٥] أو ذكر فيها ملائمها معاً، كقول زهير:

لدى أسدٍ شاكى السلاح مُقَدَّفٍ له ليدُ أظفاره لم تُقَلِّم

إستعار الأسد للرجل الشجاع و قد ذكر ما يناسب المستعار في قوله: «شاكى السلاح مقدّف» و هو التجريد، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه في قوله: «له ليدُ أظفاره لم تقلّم» و هو الترشيح، و اجتماع التجريد و الترشيح يؤدّي إلى تعارضهما و سقوطهما؛ فكأنّ الإستعارة لم تقترن بشيء و تكون في رتبة المطلقة.

تنبيه

أبلغ أنواع الإستعارة، المرشحة؛ لذكر ما يناسب المستعار منه فيها بناءً على الدعوى بأنّ المستعار له هو عين المستعار منه. ثمّ تليها المطلقة لترك ما يناسب الطرفين فيها بناءً على دعوى التساوي بينهما. ثم تليها المجردة لذكر ما يناسب المستعار له فيها بناءً على تشبيهه بالمستعار منه.

المبحث الحادي عشر

في المجاز المرسل المركب

المجاز المرسل المركب: هو الكلام المستعمل في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي. ويقع أولاً في المركبات الخبرية المستعملة في الإنشاء و عكسه لأغراض: منها التحسّر وإظهار التأسف، كما في قول الشاعر:

ذهب الصّبا وتولّت الأيام فعلى الصّبا وعلى الزمان سلام

فإنّه وإن كان خبراً في أصل وضعه إلا أنّه في هذا المقام مستعمل في إنشاء التحسّر. والتحرّز على مافات من الشباب .

ومنها إظهار الضعف، كما في قوله:

ربّ إنّي لا أستطيع اصطباراً فاعفُ عني يا من يقل العثارا

ومنها إظهار السرور، نحو: كُتِبَ اسمي بين النّاجحين.

ومنها الدّعاء، نحو: غَفَرَ اللهُ لنا ولكم.

و ثانياً في المركبات الإنشائية، كالأمر والنهي والإستفهام التي خرجت عن معانيها الأصلية واستعملت في معانٍ آخر، كما في قول النبي صلي الله عليه وآله: من كذب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار.

المبحث الثاني عشر

في المجاز المركب بالإستعارة التمثيلية

المجاز المركب بالإستعارة التمثيلية: هو تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي بحيث يكون كلُّ من المشبّه والمشبّه به هيئة منتزعة من متعدّد، وذلك بأن تشبّه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بأخر، ثم تدخل المشبّه في صورة المشبّه بها مبالغة في التشبيه و يسمّى بالإستعارة التمثيلية.

وهي كثيرة الورد في الأمثال السائرة، نحو: «الضيف ضييع اللبّن» يضرب لمن فرط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه في زمن لا يمكنه الحصول عليه فيه. ونحو: «إني أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى» يضرب لمن يتردّد في أمر فتارة يُقدّم وتارة يحجم. ونحو: «أحسفاً و سوء كيلة» يضرب لمن يُظلم من

وجهين، وأصله إن رجلاً اشترى تمرًا من آخر فإذا هو رديء و ناقص الكيل فقال المشتري ذلك. و مثل ما تقدّم،
جميع الأمثال السائرة نثرًا و نظمًا.

تمرين

بيّن نوع الإستعارة و علاقته فيما يأتي:

- | | |
|---|--|
| عَضْنَا الدَّهْرُ بِنَابِهِ | لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِهِ |
| قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَهُمْ | طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَ وُحْدَانًا ^١ |
| وَ إِذَا الْعِنَايَةُ رَاقَبَتْكَ عِيُونُهَا | نَمَ فَاَلْمَخَافُ كُلُّهُنَّ أَمَانٌ ^٢ |
| يُوَدُّونَ التَّحِيَّةَ مِنْ بَعِيدٍ | إِلَى قَمَرٍ مِنَ الْإِيوَانِ بَادٍ ^٣ |
| يَقْتُلُ الْكِسْلَانَ الْوَقْتَ ^٤ . | |

١. شَبَّ الشَّرُّ بِحَيَوَانٍ مَفْتَرَسٍ، فَيَكْشُرُ عَنْ أَنْيَابِهِ، بِجَامِعِ الْإِسْتِعَادِ لِلْهَجُومِ فِي كُلِّ، وَ اسْتِعَارَ اللَّفْظَ الدَّالَّ عَلَى الْمَشْبَهِ بِهِ لِلْمَشْبَهِ، وَ حَذَفَهُ وَ رَمَزَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ وَ هُوَ النَّاجِذَانُ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَةِ الْمُرَشَّحَةِ، وَ الْقَرِينَةُ كَلِمَةُ نَاجِذِيهِ وَ كَلِمَةُ أَبْدَى تَرْشِيحٌ.
٢. فَقَدْ شَبَّ الْعِنَايَةَ بِإِنْسَانٍ، ثُمَّ حَذَفَ الْمَشْبَهَ بِهِ وَ رَمَزَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ وَ هُوَ الْعِيُونُ.
٣. فَقَدْ اسْتَعَارَ الْقَمَرَ وَ هُوَ الْمَشْبَهُ بِهِ الْمَذْكُورُ فِي الْكَلَامِ، لِمُدْوَحِهِ وَ هُوَ الْمَشْبَهُ الْمَحْذُوفُ.
٤. كَلِمَةُ «يَقْتُلُ» اسْتِعَارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ شَبَّ فِيهَا تَضْيِيعُ الْوَقْتِ سُدَى بِالْقَتْلِ، وَ هِيَ إِلَى ذَلِكَ، اسْتِعَارَةٌ تَبْعِيَّةٌ لِأَنَّهَا فَعَلٌ وَ قَرِينَتُهَا الْوَقْتُ.

الدرس الثامن والعشرون

الباب الثالث

في الكناية و تعريفها و أنواعها

الكناية لغةً: ما يتكلم به الإنسان و يريد به غيره. و هي مصدر كَنَيْتُ أو كَنَوْتُ بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به.

و اصطلاحاً: لفظ أُريد به غير معناه الذي وُضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي؛ لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته، نحو: «زيدٌ طويل النَّجاد» فإن المراد به لازم معناه، و هو كونه طويل القامة؛ لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه و إن لم يكن له نجادٌ و مع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقي و من هنا يعلم أن الفرق بين الكناية و المجاز صحّة إرادة المعنى الأصلي في الكناية، دون المجاز فإنه ينافي ذلك.

نعم قد تمتنع إرادة المعنى الأصلي في الكناية لخصوص الموضوع، كقوله تعالى: «والسَّهَاتِ مطوياتٌ بيمينه»: [الزمر: ٦٧] و «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى». [طه: ٥] كناية عن تمام القدرة و قوّة التمكّن و الإستيلاء.

أقسام الكناية

باعتبار المعنى الذي تشير إليه

تنقسم الكناية بحسب المعنى الذي تشير إليه إلى ثلاثة أقسام:

١. كناية عن صفة: و هي كناية يكون المكني عنه فيها صفة، نحو: «سعيدٌ واسع الكفّ» كناية عن جوده و سخائه و هذا القسم نوعان: أ. كناية قريبة: و هي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه و المعنى المنتقل إليه، نحو: «فلانٌ عريضُ القفا» كناية عن بلادته.

ب. كناية بعيدة: و هي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة أو بوسائط، نحو: «فلانٌ كثيرُ الرّماد» كناية عن المضياف، و الوسائط هي الانتقال من كثرة الرّماد إلى كثرة الإحراق و منها إلى كثرة الطبخ و الخبز و منها إلى كثرة الضيوف و منها إلى المطلوب و هو المضياف الكريم.

٢. كناية عن موصوف: و هي كناية يكون المكني عنه فيها ذاتاً أو موصوفاً، نحو: «قتل الصّيادُ ملكَ الوحوشِ» أي: الأسد و «هو حارس على ماله» كنوا به عن البخيل الذي يجمع ماله و لا ينتفع به.

٣. كناية عن نسبة: و هي كناية يراد بها نسبة أمر لآخر، إثباتاً أو نفيّاً فيكون المكني عنه نسبة، أسندت إلى ماله اتّصال به، نحو: الفضل يسير حيث سار فلانٌ.

تقسيم الكناية

باعتبار الوسائط و السياق

تنقسم الكناية أيضاً باعتبار الوسائط (اللوازم) و السياق إلى أربعة أقسام: تعريض و تلويح و رمز و إيحاء.

١. فالتعريض لغةً خلاف التصريح. و اصطلاحاً هو أن يطلق الكلام و يشار به إلى معنى آخر يفهم من السّياق، نحو قولك للمؤذي: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده» تعريضاً بنفي صفة الإسلام عن المؤذي.

٢. و التلويح لغةً أن تشير إلى غيرك من بُعد. و اصطلاحاً هو الذي كثرت وسائطه بلا تعريض، نحو:

و ما يك في من عيبٍ فإني جبانُ الكلب مهزولُ الفصيل

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب مهزول الفصيل، فإنّ الفكر ينتقل إلى جملة وسائطه.

٣. و الرمز لغةً أن تشير إلى قريب منك خفيةً بنحو شفة أو حاجب. و اصطلاحاً هو الذي قلّت وسائطه مع خفاء في اللزوم بلا تعريض، نحو: فلان عريض الوسادة، كناية عن بلاذته و بلاهته.

٤. و الإيحاء أو الإشارة: هو الذي قلّت وسائطه مع وضوح اللزوم بلا تعريض، كقول الشاعر:

أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحوّل

كناية عن كونهم أمجاداً أجواداً بغاية الوضوح.

تمرين

بين أنواع الكنايات الآتية:

- قوله تعالى: أو جاء أحدٌ منكم من الغائط. [المائدة: ٣]
- قوله تعالى: و لا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك. [الإسراء: ٢٩]
- قوله تعالى: إنما يتذكر أولوا الألباب. [الزمر: ٩]
- قوله تعالى: لئن أشركت ليحبطنَّ عملك. [الزمر: ٦٥]
- و حملناه على ذات ألواحٍ و دُسرٍ. [القمر: ١٣]
- قال النبي (ص): أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش.

١. كناية عن التفتير.

٢. فالمراد به غيره تعريضاً و إيحاءً لاستحالة الشرك عليه، و وجه حسنه أن الخصم يُدعن بأن الشرك إذا أفسد عمل النبي (ص) أفسد أعمالهم قطعاً.

- قالت أمّ زرع في حديث: «زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من النَّاد»^١.
- قالت أعرابية لبعض الوُلاة: أشكو إليك قلة الجرذان.

- قومٌ ترى أرماحهم يوم الوغى مشغوفة بمواطن الكتمان^٢

- قول الشاعر:

بيض المطابخ لا تشكو إماؤهم طبخ القدور ولا غسل المناديل^٣
- فما جاز جودٌ ولا حَلٌّ دونَه ولكن يسيرُ الجودُ حيثُ يسيرُ^٤

- «ذات ألواحٍ ودُسرٍ»^٥.

- كقول العرب: فلانٌ رحبُ الذراع، نقيّ الثوب، طاهر الإزار و فلانةٌ نؤوم الضُّحى، ناعمة الكفين، بعيدة مهوى القُرط.

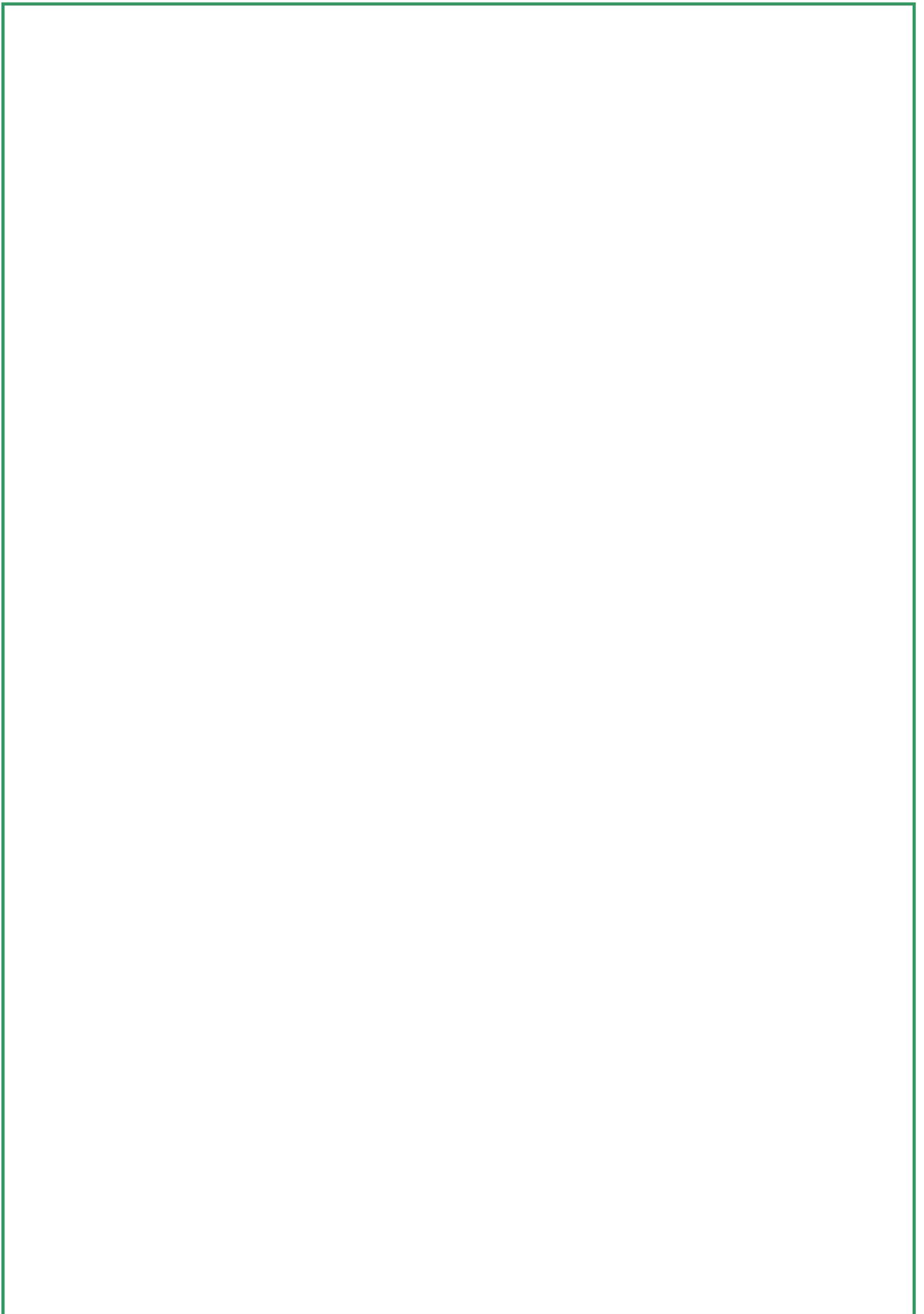
١. فيه أربع كُنایات بأسلوب التلويح.

٢. كناية عن موصوف.

٣. كناية عن صفة.

٤. كناية عن نسبة.

٥. كناية عن الموصوف.



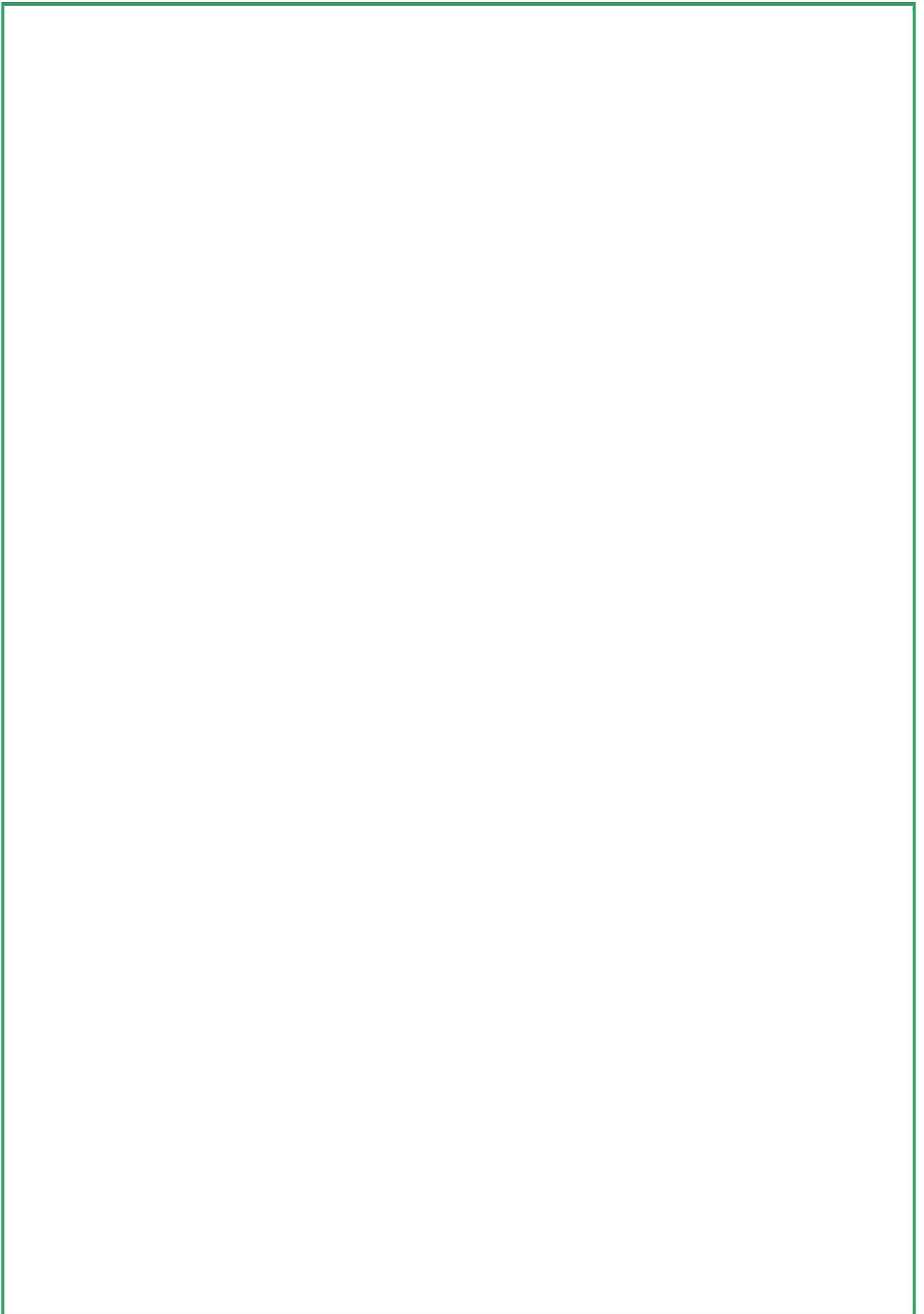
علم البديع

فيه بابان و خاتمة

١. في المحسنات المعنوية

٢. في المحسنات اللفظية

٣. خاتمة في السرقات الشعرية



الدرس التاسع و العشرون

علم البديع

البديع لغةً: المُخترَعُ المُوجد على غير مثال سابق، و هو مأخوذٌ و مشتقٌّ من قولهم^١: بَدَعَ الشيء و أبدعه، إختراعه لاعلى مثالٍ. و اصطلاحاً: هو علم يُعرف به الوجوه^٢ و المزايا التي تزيد الكلام حُسناً و طلاوةً و تكسوه بهاءً و رونقاً بعد مطابقتها لمقتضى الحال، مع وضوح دلالاته على المراد لفظاً و معنى.

و واضعه عبدالله بن المعتز العبّاسي^٣ المتوفى سنة ٢٧٢٧٤ هجرية.

و في هذا العلم بابان و خاتمة.

١. البديع فعيلٌ بمعنى مفعول، أو بمعنى مفعول و يأتي البديع بمعنى اسم الفاعل في قوله تعالى: «بديع السموات و الأرض» أي مُبدعها.

٢. وجوه التحسين أساليب و خرقٌ معلومة وضعت لتزيين الكلام و تمييزه، و تحسين الكلام بعلمى المعانى و البيان «ذاتى» و بعلم البديع «عَرَضى»، و وجوه التحسين إما معنوية و إما لفظية.

٣. عبدالله بن المعتز: أبو العباس عبدالله لقب بالمرتضى بالله، ولى الخلافة يوماً و بعض يوم، له ديوان شعر، و كتاب البديع، كتاب طبقات الشعراء.

المقابلة

المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، كقوله تعالى: «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى و أما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعرسى». [الليل: ٥ - ١٠] و كقوله تعالى: «يُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ» [الاعراف: ١٥٧]. وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلْأَنْصَارِ: «إِنكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفِرْعَ وَ تَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ». و كقول الشاعر:

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَ الدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَ أَقْبَحَ الْكُفْرَ وَ الْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ

مراعاة النظير

مراعاة النظير: هي الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة، لا على جهة التضاد، وذلك إما بين اثنين، نحو قوله تعالى: «و هو السميعُ البصيرُ» [الشورى: ١١] وإما بين أكثر، نحو قوله تعالى: «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم». [البقرة: ١٦]

و يلحق بمراعاة النظير ما بني على المناسبة في المعنى بين طرفي الكلام، يعني أن يختتم الكلام بما يناسب أوله في المعنى، نحو قوله تعالى: «لا تُدركه الأبصار و هو يدرك الأبصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» [الأنعام: ١٠٣] فإن اللطيف يناسب عدم إدراك الأبصار له، و الخبير يناسب إدراكه سبحانه و تعالى للأبصار. و ما بُني على المناسبة في اللفظ باعتبار معنى له غير المعنى المقصود في العبارة، نحو قوله تعالى: «الشمس و القمرُ بحُسابٍ و النُّجُومُ وَ الشُّجُرُ يسجدان». [الرحمن: ٥ - ٦]

فإن المراد بالنجم هنا النبات، فلا يناسب الشمس و القمر ولكن لفظه يناسبها باعتبار دلالة على الكواكب.

المشاكلة

المشاكلة: هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته كقوله تعالى: «تعلم ما في نفسي- ولا أعلم ما في نفسي» [المائدة: ١١٦] المراد: ولا أعلم ما عندك، و عبر بالنعفس للمشاكلة. ونحو قوله تعالى: «نَسُوا اللَّهَ فأنسأهم أنفسهم» أي أهملهم، ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته.

و من ذلك ما حكى عن أبي الرقمع: أن أصحاباً له أرسلوا يدعونه إلى الصُّبوح في يوم بارد ويقولون له: ماذا تريد أن نصنع لك طعاماً؟ و كان فقيراً، ليس له كسوة تقيه البرد، فكتب إليهم يقول:

أصحابنا قصدوا الصُّبوح بسحرة وأتى رسولهم إليّ خصيصاً
قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلتُ اطبخوا لي جبّة و قميصاً

أي: خيطوا لي جبّة و قميصاً، فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام.

الطيّ و النشر

الطيّ و النشر: ^١ أن يذكر متعدد، ثم يذكر ما لكل من أفرادها شائعاً من غير تعيين، اعتماداً على تصرّف السامع في تمييز ما لكل واحد منها، وردّه إلى ما هو له.

و هو نوعان: أ. إما أن يكون النشر فيه على ترتيب الطيّ، نحو قوله تعالى: «و من رحمته جعل لكم الليل و النهار لتسكنوا فيه و لتبتغوا من فضله» [القصص: ٧٣] فقد جمع بين الليل و النهار ثم ذكر السكون لليل، و ابتغاء الرزق للنهار على الترتيب.

ب. و إما أن يكون النشر على خلاف ترتيب الطيّ نحو: «فمحونا آية الليل و جعلنا آية النهار مبصرةً لتبتغوا فضلاً من ربكم و لتعلموا عدد السنين و الحساب». [الإسراء: ١٢] ذكر ابتغاء الفضل للثاني، و علم الحساب للأول على خلاف الترتيب.

الجمع

الجمع: هو أن يجمع المتكلم بين متعدّد تحت حكم واحد و ذلك:

أ. إما في اثنين، نحو قوله تعالى: «المال و البنون زينة الحياة الدنيا». [الكهف: ٤٦]

١. و قد يقال لها: اللفّ و النشر

ب. و إما في أكثر، نحو قوله تعالى: «إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه». [مائده: ٩٠]

و كقول الشاعر:

إنَّ الشبابَ و الفراغَ و الجِدَّةَ مفسدة للمرء أي مفسدة

التفريق

التفريق: أن يفرق بين أمرين من نوع واحد في اختلاف حكمهما، نحو قوله تعالى: «و ما يستوي البحرانِ هذا عذب فراتٌ سائغٌ و هذا ملحٌ أجاجٌ». [فاطر: ١٢]

و كقول الشاعر:

من قاس جدواك يوماً بالسُّحْبِ أخطأ مدحك
السُّحْبُ تُعطي و تبكي و أنت تُعطي و تضحك

المبالغة

المبالغة: هي أن يدعى المتكلم لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدًّا مستبعداً أو مستحيلاً، و تنحصر- في ثلاثة أنواع:

١. تبليغ: إن كان ذلك الإدعاء للوصف من الشدة أو الضعف ممكناً عقلاً و عادةً، نحو قوله تعالى: «ظلماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها». [النور: ٤٠]
و كقوله في وصف فرس:

إذا ما سابقتها الريح فرّت و ألقى في يد الريح الترابا

٢. واغراق: إن كان الإدعاء للوصف من الشدة أو الضعف ممكناً عقلاً، لا عادة، كقول الشاعر:

و نكرم جارنا مادام فينا و نتبعه الكرامة حيث مالا

٣. و غلو: إن كان الإدعاء للوصف من الشدة أو الضعف مستحيلاً عقلاً و عادةً، كقول الشاعر:

تكاد قسيه من غير رام تمكّن في قلوبهم النبّالا

العكس

العكس: هو أن تقدم في الكلام جزءاً ثم تعكس؛ بأن تقدم ما أخرت و تؤخر ما قدمت، نحو: بيان الأمير أمير البيان، ونحو قوله تعالى: «يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي» [الروم: ١٩]، «لاهنّ حلّ لهم ولاهم يجلّون لهنّ». [الممتحنة: ١٠] و كقول الشاعر:

إن للوجد في فؤادي تراكم ليت عيني قبل الممات تراكم
في هواكم يا سادتي متّ جداً متّ و جداً يا سادتي في هواكم

تمرين

بيّن أنواع المحسنات المعنوية فيما يلي:

- «ثم لا يموت فيها و لا يحيى». [الأعلى: ١٣]
- يا أمة كان قبح الجور يسخطها دهرأ فأصبح حُسنُ العدل يُرضيها
- علي رأس عبدٍ تاجٌ عزّ يزينه وفي رجلٍ حُرٌّ قيدٌ ذلٌّ يشينه
- «و اعلموا أنّها أموالكم و أولادكم فتنة». [الأنفال: ٢٨]
- آراؤه و عطاياه و نعمته و عفوه رحمة للناس كلّهم
- ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سقاء
- فنوال الأمير بدرة عين و نوال الغمام قطرة ماء
- «يخرج الحيّ من الميت و يخرج الميت من الحيّ». [الروم: ١٩]
- إذا أمطرت منهم و منك سبعة فوابلهم طلٌّ و طلك و ابل
- «لاهنّ حلّ لهم ولاهم يجلّون لهنّ». [الممتحنة: ١٠]
- و للغزاة شيء من تلفته و نورها من ضيا خديه مكتسب^١

١. أراد الشاعر بالغزاة الحيوان المعروف و بضمير «نورها» الغزاة بمعنى الشمس.

لله البرايا عييد
جفاك فينا يزيد
يعجب من إفراط دمعي السخي
فقال ذا خالي وهذا أخي
فكم من لحية حلقت بموسي^١

- ياسيداً حاز لطفاً
أنت الحسين ولكن
- سألته عن قومه فأثنى
وأبصر المسك وبدر الدّجي
- فإن ضيعتُ فيه جميع مالي
- «و تُعزُّ من تَشَاء و تُذَلُّ من تَشَاء». [آل عمران: ٢٦]^٢

و يوم نساء و يوم نسرّ—
إلى متى أكتمه أكتمه إلى متى

- فيومٌ لنا و يومٌ علينا
- أنا عبدٌ لفتى أنزل فيه هل أتى

١. فيه التورية، بذكر اللّحية و الحق، و هما يناسبان المورّى به و هو «موسى الحديد» و المورّى عنه الإسم المذكور.

٢. فيه تورية في لفظ «خالي» فمعناه البعيد المراد، النقطة السوداء في الخدّ، و القريب أخ الأم، و لفظة «أخي» هي التي هيأت خالي للتورية و هي بعيدة.

الدرس الواحد و الثلاثون

الباب الثاني

في المحسنات اللفظية

الجناس

الجناس: هو تشابه لفظين في النطق، و اختلافهما في المعنى. و هو ينقسم إلى نوعين: لفظي و معنوي.

أنواع الجناس اللفظي

منها: الجناس التام هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء: نوع الحروف، و عددها، و هيئاتها الحاصلة من الحركات و السكّنات، و ترتيبها مع اختلاف المعنى، نحو: «و يوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة». [الروم: ٥٥] فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة، و بالساعة الثانية المدّة من الزمان. و نحو: إرع الجار و لو جار.

و كقول الشاعر:

إذا رماك الدّهر في معشر — قد أجمع النّاس على بغضهم
فدارهم مادمت في دارهم — و أرضهم مادمت في أرضهم

و منها: الجناس غير التام فهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأربعة السابقة، نحو: «ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق و بما كنتم ترحون» [غافر: ٧٥]، و نحو: في حسامه فتح لأوليائه و حتف لأعدائه.

و كقول الشاعر:

فإن حلّوا فليس لهم مفرٌّ — و إن رحلوا فليس لهم مقرٌّ

و منها الجناس المركب: و هو ما اختلف رُكناه إفراداً و تركيباً، نحو قوله:

إذا ملِكْ لم يكن ذاهبَةً — فدعاه فدولته ذاهبَةً

أنواع الجناس المعنوي

و المعنوي نوعان: جناس إضمار و جناس إشارة

أ. فجناس الإضمار: أن تأتي بلفظ يُحصر في ذهنك لفظاً آخر و ذلك اللفظ المحضر - يراد به غير معناه، بدلالة السياق، مثل قوله:

«منعم» الجسم تحكي الماء رفته — و قلبه «قسوة» يحكي أبا أوس

و أوس شاعر مشهور من شعراء العرب، و اسم أبيه حَجْر، فلفظ أبي أوس يحضر في الدّهن اسمه و هو حجر و هو غير مراد؛ و إنّها المراد الحجر المعلوم.

ب. و جناس الإشارة: هو ما ذكر فيه أحد الركنين، و أشير للآخر بما يدلّ عليه، و ذلك إذا لم يساعد الشعر على التصريح به، نحو:

يا حمزة إسمح بوصل وامنن علينا بقرب
في ثغرك إسمك أضحى مصححاً و بقلبي

فقد ذكر الشاعر أحد المتجانسين و هو حمزة و أشار إلى الجناس فيه، بأنّ مصحّفه في ثغره أي: خمره و في قلبه، أي: جمره.

التصحيف

التصحيف: هو التشابه في الخط بين كلمتين فأكثر؛ بحيث لو أزيل أو غيّرت نُقط كلمة كانت عين الثانية، نحو: التخلي، ثم التحلي، ثم التجلي.

السجع

السجع: هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر. و أفضله ما تساوت فقره، و هو ثلاثة أقسام:

أولها: السجع المطرف، و هو ما اختلفت فاصلته في الوزن و اتفقتا في التقفية، نحو قوله تعالى: «ما لكم لا ترجون لله وقاراً و قد خلقكم أطواراً». [نوح: ١٣]

ثانيها: السجع المرصع، و هو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن و التقفية، مثل قول الحريري: هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، و يقرع الأسماع بزواجر وعظه.

ثالثها: السجع المتوازي و هو ما لم تتفق فيه الفقرتان في الوزن و التقفيه، نحو قوله تعالى: «فيها سررٌ مرفوعة و أكوابٌ موضوعة» [الغاشية: ١٤] لاختلاف سرر و أكواب وزناً و تقفية و نحو قوله تعالى: «المرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً» [المرسلات: ٢] لاختلاف المرسلات و العاصفات وزناً فقط.

و الأسجاع مبنية على سكون أواخرها، و أحسن السجع ما تساوت فقره، نحو قوله تعالى: «في سدر مخضودٍ، و طلحٍ منضودٍ، و ظلٌّ ممدودٍ». [الواقعة: ٢٨]

و السجع موطنه النثر، و قديمي في الشعر نادراً. و لا يقال في القرآن «أسجاع»؛ لأنّ السجع في الأصل هدير الحمام و نحوها، بل يقال: «فواصل».

١. «الفاصله» في النثر، كالتقافية في الشعر، و «السجع» خاص بالنثر.

الدرس الثاني و الثلاثون

ردّ العجز على الصدر

ردّ العَجْز على الصّدر قد يكون في الشر و قد يكون في النظم : أ. في الشر هو أن يجعل أحد اللَّفْظَيْن المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما بأن جمعها اشتقاق أو شبهه في أول الفقرة، ثم تعاد في آخرها، مثل قوله تعالى: «و تخشى النَّاسَ وَ اللهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» [الأحزاب: ٣٧] و نحو قوله سبحانه: «إستغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً» [نوح: ١٠] و قولك: «سائل اللّئيم يرجع و دَمعه سائل» فسائل الأول من السّؤال و سائل الثاني من السّيْلان.

و اللّذان يجمعهما شبه اشتقاق، نحو قوله عزّ وجلّ: «قال إنّي لعمركم من القالين». [الشعراء: ١٦٨] ب. ردّ العجز على الصّدر في النظم، هو أن يكون أحدهما في آخر البيت، و الآخر يكون إما في صدر المصراع الأول، أو في حشوه، أو في آخره، و إمّا في صدر المصراع الثاني، نحو قوله:

سريعٌ إلى ابن العمّ يلطم وجهه و ليس إلى داعي النّدى بسريع

ما لا يستحيل بالإنعكاس

ما لا يستحيل بالإنعكاس: هو كون اللفظ يقرأ طرداً و عكساً، نحو: كُن كما أمكنك، و كقوله تعالى: «و ربّك فكبر» [المدثر: ٣] و كقول القاضي الأرجاني:

أحبّ المرءَ ظاهره جميل لصاحبه و باطنه سليم
مودّته تدوم لكلّ هولٍ و هل كلّ مودّته تدوم

المواربة

المواربة: هي أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يغيّر معناه بتحريف، أو تصحيف، أو غيرهما ليسلم من المؤاخذة كقول أبي نواس:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع عقْدُ علي خالصة
فلما أنكر عليه الرشيد ذلك، قال أبو نواس لم أقل إلا:
لقد ضاء شعري على بابكم كما ضاء عقْدُ علي خالصة
ثم قال أبو نواس بعد ذلك: لله دَرُّ شعْرٍ قُلعتُ عيناه فأبصر.

تمرين

بين أنواع المحسنات اللفظية فيما يلي:

- «يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة و أنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون و لا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغسلوا»^١ [المائدة: ٤٣]

- ولايتي لأمير النحل تكفيني
عند المات و تغسيل و تكفيني
وطيتي عجننت من قبل تكويني
بحب حيدر كيف النار تكويني

- قال علي^(ع): بالحرص يكون العناء و باليأس يكون الغناء.

- قال علي^(ع): حسن التوبة يمحو الحوبة.

- قال علي^(ع): من الحزم قوة العزم.

- قال علي^(ع): عداوة العقارب أمض من لسع الأقراب.

- علي حبه جنة
قسيم النار و الجنة

- وصي المصطفى حقا
إمام الإنس و الجنة

- هلا نهاك نهاك عن لوم امري
لم يلف غير ممنعم بشقاء

- لم نلق غيرك إنسانا يلاذ به
فلا برحت لعين الدهر إنسانا

- فدارهم ما دمت في دارهم
و أرضهم ما دمت في أرضهم

- الإنسان بآدابه، لا بزيبه و ثيابه.

- الحُرُّ إذا وعد وفي، و إذا أعان كفى، و إذا ملك عفا.

- سلي إن جهلت الناس عنا و عنهم
فليس سواء عالم و جهول

- أما والذي أبكى و أضحك و الذي
أمات و أحيأ و الذي أمره الأمر

- كلامه غذاء الروح و مادة الروح.

١. و الصلاة هذا تحتل أن تكون فعل الصلاة، فاستخدم الصلاة بلفظ واحد؛ لأنه قال سبحانه: «إلا عابري سبيل» فدل على أنه أراد موضع الصلاة و قال تعالى: «حتى تعلموا ما تقولون» فدل على أنه فعل الصلاة.

- إلى حتفي سعى قدمي أرى قـدمي أراق دـمـي

- أقبـل الـريـع براحة الجنان و راحة الجنان.

- قال أبو الفتح البستي: إن لم يكن مطمَعٌ في دركٍ دُرِّك فأعفنا من شَرِّك شَرِّك.

- الصَّبْرُ أمرٌ من الصَّبْرِ.

- قال المعري:

ما لم تكن بالغت في تهذيها

عدّوه منك وساوساً تهذي بها

ل و خـلّ المـزاحـمة

يتعاطى المـزاح مـه

- لا تعرضنّ على الرّواة قصيدةً

و إذا عرضت الشّعـر غير مهذبٍ

- عاشـر النـاس بالجميـ

وتـيقظ و قـل لـن

خاتمة

في السرقات الشعرية

السَّرِقَة: هي أن يأخذَ الشخصُ كلامَ الغيرِ و يُنسبه لنفسه. و هي ثلاثة أنواع: نَسَخٌ و مَسَخٌ و سَلَخٌ. و يتصل بالسرقات الشعرية ثمانية أمور: الإقتباس، والتضمين، والعقد و الحَلِّ، والتلميح، و الإبتداء و التخلُّص، و الإنتهاء.

الحمد لله أولاً و آخراً

فهرس المصادر و المراجع

- جواهر البلاغة، احمد هاشمي، ضبط و تدقيق و توثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية- بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى أمين، مؤسسة البعثة، قم، الثالث، ١١٤٠٨هـ.
- أساليب المعاني في القرآن، سيد جعفر حسيني، بوستان كتاب، قم، سوم، ١٣٩٠هـ
- أساليب البيان في القرآن، سيد جعفر حسيني، بوستان كتاب، قم اول، ١٣٨٧هـ
- أساليب البديع في القرآن، سيد جعفر حسيني، بوستان كتاب، قم، دوم، ١٣٩٠هـ
- علم البيان، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، اول، ١٤٣٠هـ.
- علم المعاني، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، اول، ١٤٣٠هـ.
- معجم المطلحات البلاغية و تطورها، احمد مطلوب، مكتبة لبنان، الثاني، ٢٠٠٠م.
- هنر بديع، سيد محمد رضا طباطبائي، دارالعلم، قم، اول، ١٣٨٦هـ
- تهذيب البلاغة، عبد الهادي الفضلي، تعليق: سيد علي حسيني، دارالعلم، قم، اول، ١٣٨٤هـ
- المعين في البلاغة، قدرى مايو، اشراف: اميل بديع يعقوب، عالم الكتب، اول، ١٤٢٠هـ
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دارالعلم للملايين، بيروت، العاشرة، ١٩٩٢م.
- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين أبشيهي، تحقيق: مفيد محمد قمحية، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ